منار محمد رضا

ماندالا

البداية التي تُولد من رحم النهاية

Telegram:@mbooks90

رواية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إهداء

إلى من كان حاضرًا بقلبه، ومن كان حاضرًا بقيمه، وإلى كل من كان قدوةً وعلمني درسًا من دروسِ الحياة.

إلى من كان ضوء أملٍ ومصدر إلهامٍ ومن كان قمة في العطاء.

إلى أبي وأمي..

إلى شريك حياتي..

إلى أصدقاء الرحلة..

إلى كل من امتلك بداخله شغفًا لم ينطفئ..

إلى كل من آمن بأن الأحلام ستحقق يومًا..

أهدي هذه الرواية لك..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقدمة

لطالما أحببت كلمات «جبران خليل جبران» وبالأخص عندما قال: «قد لا يبلغ المرء الفجر إلا عن طريق الليل»، وأعتقد أنني لم أتراجع يومًا، آمنتُ دائمًا أن هناك ما هو أفضل، وتقبلتُ الألم، فلولاه ما كنت هنا الآن وما سردتُ قصتي، ولم أقف احترامًا لما فعلته في رحلتي، وما واجهته من تعبٍ، فقد وفشل، وفي النهايةِ نجحت في الوصول.

Telegram:@mbooks90

لم أبحث عن الشهرةِ والمال أو حتى التعاطف أو الشفقة، لكنني بحثت عن المعرفة والعبرة، عن رؤية ما وراء الستار دومًا.. ومواجهته بصلابةٍ وقوة وإن ضعفت، كنت من المحظوظين الذين وجدوا مغزى لحياتهم، وإن كانت غير مكتملة، فكنت خليل روحي، وترحالي، وآنست ظلماتي بضيائي.. لم أستغن عن البشر أبدًا، ولكني لم أسأم من وحدتي أيضًا، فكنت لذاتي ملخص الحكايات، وعندما كانوا محطات رحلتي كنت لنفسي الصحبة في السفر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دائرة الذكرى

تُرى

ما الذي

يمكن أن تخسره

إن احترقت الذكريات؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحيط

وكأنها البداية

Telegram:@mbooks90

أعترف أنني كنتُ فتاةً مدللة، فقد ولدتُ في أسرةٍ ميسورة الحال، حيث كان أبي مهندس بترول، وأمي مديرة مدرسة، أما جدتي فهي مديرة منزلنا الدافئ.

لم أكن محظوظة في الماديات فقط -التي تغيرت فيما بعد لسوء أحوال الاقتصاد- بل أغرقني الجميع بحبه، وخصوصًا أبي وجدتي، أما بالنسبةِ لأمي فكانت مشغولة أغلب الوقت بتحضير رسالة الدكتوراة الخاصة بها إيمانًا منها أن مجال التدريس الجامعي ينتظرها، أما عني فأعتقد أنني كنت آخر أولوياتها.

«غالي» هكذا كان اسم أبي ومكانته في قلبي أيضًا، فمنذ نعومة أظافري كان يراني أكثر فتاة مميزة في العالم، وكان لديه يقينٌ أن حياتي لن تكون طبيعية، وأنني جلبت تغييرًا ما لهذا العالم في يوم ميلادي، وسأكون من العظماء يومًا ما، أما جدتي «فكرية» فقد كانت تقوم بجميع مهام الأم، فقد اختارت المدرسة التي التحقتُ بها ومستواها الرفيع في التعليم، فكان اختيارها مدارس الراهبات، وقد زرعت في أعماقي كل عاداتها وتقاليدها وقيمها لأصبح نسخة مصغرة من جدتي الجميلة دون أن أدرك هذا.

وعن أمي، فكانت تحب أن أدعوها «ميمي» كنوعٍ من التقرب الصوري إليها، ولكن جدتي كانت تغضب جدًا لهذا، فقررتُ أن أدعوها ماما «ليلى»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكسب رضى السيدة التي تحمل ولائي دومًا، وهذا كان يغضب أمي كثيرًا، لتستمر هذه الحلقة الجحيمية للأبد!

كوكيز!! هكذا كان لقبي في المنزل، وهذا للشبه الكبير بيني وبينها - كما يدعون-، فلدي شعرأسود مموج، وبشرة بيضاء يزينها النمش، وعينان خضراوتان كبقية عائلة أبي، «زهرة» هو اسمي، والحقيقة لم أكن من معجبيه حتى أخبرتني «فكرية» ذات مساءٍ:

- إنتِ عارفة سمينا كي زهرة ليه؟

- عشان يغنوا لي يا وردة مكانها في البستان طبعًا.

رمتني «فكرية» بإبرة الكوريشيه، ثم استعادت هدوءها الداخلي وأكملت قائلةً:

- غالي وليلى قعدوا سنتين من غير خلفة، وبدأ حبهم لبعض يدبل ويموت بسبب ضغط الكل عليهم كإنهم في امتحان وهيلموا الورق، ساعتها قرروا ينفصلوا عن بعض... وقبل الطلاق ليلى عرفت إنها حامل، وحبهم رجعت له الروح بيكِ.. فسموكي زهرة، إنتِ اللي أحييتي البيت كله.

ومنذ هذه اللحظة أحببتُ اسمي كثيرًا، فدون أن أعلم أنقذتُ مستقبل هذه الأسرة، ليكون هذا أول إنجازٍ في حياتي دون أن أدري.

***

ما زلتُ أتذكر هذه الليلة الباردة وكأنها البارحة، حين أنهت جدتي فستان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حفل تكريمي في مدرسة الباليه، ودخلتْ إلى غرفتي وهي تحمله في هدوءٍ على غير عادتها، وأخذتْ تراقبني وأنا منهمكة في الرسم وأستمع للموسيقى، ثم قالت:

- أنا بقول دايمًا إنك هتبقي رسامة كبيرة يا كوكيز.

- نانا.. إنتِ واقفة من بدري؟

- أهو بتفرج على بنوتي اللى كبرت وهيبقى عندها ١٥ سنة كمان إسبوع.

ثم قامت بتسليمي الفستان، وأكملت حديثها قائلةً:

- آدي الفستان اللي أصريتي أفصلهولك عشان حفلة الباليه.

- إيه يا نانا ده؟ أول مرة تخلصي حاجة قبل ميعادها كده!

- أهو بحاول أرضيكِ يا كوكيز.

قمتُ بوضعه داخل دولاب غرفتي، والتفتُ لجدتي وعيناي تلمعان لأطلب منها المبيت بجانبي الليلة، ولأول مرةٍ توافق بهذه السهولة، وكعادتها العذبة كانت تحكي أجمل الحواديت قبل النوم، وأكاد أقسم أنني كل ليلةٍ أستمع إليها تحكي قصة من قصصها الجميلة.

- «كان يا ما كان، كان فيه بنت اسمها «فيروز»»، كانت عايشة مع جدتها في بيت صغير في غابة كبيرة، وكانت حياتهم بسيطة وجميلة، لحد ما في يوم جه وحش كبير أوي خطف منها جدتها وسابها تعيش وحيدة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«فيروز» فضلت فترة كبيرة مش عارفة تعمل إيه وعلى طول بتعيط، وكل يوم تخرج تدور على جدتها في الغابة، وفي يوم قابلت «مالك» الفارس الوسيم، وحبوا بعض، واتجوزوا، وخلفوا، وفضلت دايمًا تعلم أولادها إن مش كل حاجة وحشة هتحصل هتبقى شر ليهم لأنها لولا جدتها الوحش خطفها ما كانتش هتخرج للغابة، وتقابل باباهم أبدًا، وتوتة توتة فرغت الحدوتة».

لم أدرك الرسالة المخفاة بين سطور هذه القصة في هذا اليوم، فقد قمتُ كالبلهاء أُقبل خديها، وخلدتُ للنوم فورًا وكأنني سأراها مجددًا في الصباح التالي، وكأن شيئًا لن يحدث وهذا الوحش لن يعرف طريقًا لجدتي أبدًا.

استيقظتُ ولم أجدها بجواري، وكل ما توقعته أنني سأجدها في المطبخ تعد الفطور كالعادة، خرجتُ مسرعةً في اتجاه المطبخ لأُقبِّل يدها مثل كل صباح، ولكن عندما خرجت من غرفتي وجدت المنزل يعج بأقاربنا، وأصوات بكاءٍ وعويلٍ تستشعر طريقها لآذاني، ثم فجأة شعرت بيد أمي تلتف من حولي لتقوم بضمي إليها للمرةِ الأولى منذ شهورٍ تقريبًا! وللمرةِ الأولى أشعر أنني أريد الاحتماء بها؛ فأنا لا أفهم ما يحدث أبدًا، فتاة في عمر الخامسة عشر لم ترَ حدادًا من قبل، فقد كانت حياتي كلها وردية جميلة، همستُ في أذن أمي بحذرٍ وقلبي يرتجف خوفًا من الإجابة:

- هو فيه إيه يا ماما؟

اهتز صوت أمي وكأن جبلًا ما انهار فوق أحبالها الصوتية لتقول:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- تيتا... ماتت.

لم أستطع استيعاب أبعاد الموقف أبدًا، كل ما شعرت به هو ألم شديد في صدري، وكأن أحدهم قام بطعن قلبي بخنجرٍ مسموم، وبدأ المشهد في الإظلام شيئًا فشيئًا حتى اختفى كل شيءٍ ولم يبق سوى صوت صراخ أمي:

- الحقني يا غالي!!

ثم سرعان ما خفت صوتها أيضًا.

الموتى لهم حنين، ولكن ليس للعودةِ مرة أخرى لعالم الأحياء، فأصحاب الجانب المُضيء ربما لن يريدوا العودة مرة أخرى ويتركوا نعيم الجنة وراء ظهورهم، الحنين يكون للأشياءِ التي لم يدركوها، ولن يدركونها لكل أملٍ أو حلم تمنوه، وتحول إلى سرابٍ معهم.

يرحل الأموات وكأنهم لم يكونوا موجودين قط! تسمع عنهم في روايات البشر كأنهم أساطير ليس إلا، وكل ما تبقى منهم هو لوحة رخامية يكتب عليها الاسم، وسنة الميلاد والوفاة، لتشهد هذه اللوحة دائمًا أن هناك من كان على قيد الحياة دومًا وهنا يرقد جسده، وأحلامه، وإنجازاته.. وربما ناره أو جنته.

***

استيقظتُ وأنا غير مدركةٍ للزمان، والمكان، ولكن بعد بضع ثوانٍ حتى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أدركتُ أن هناك بعض الخراطيم الموصولة بجسدي، ثم وجدتُ أمي تُهرول مسرعةً إلى السرير الملقاة عليه وهي تبكي، وتنادي أبي النائم على الأريكة قائلة:

- يا غالي..غالي، قوم بسرعة وهات الدكتور.. زهرة فاقت.

وكأن تيارًا كهربائيًّا ضرب جسد أبي، فقام يركُض إلى الخارج لإحضار الطبيب.

- هو فيه إيه يا ماما؟

نظرت إليَّ في شفقةٍ ثم قالت:

- جالك ذبحة صدرية وبقالك تلت أيام في غيبوبة.

نزلت كلماتها كالصاعقةِ على رأسي، فلم أكن أدرك كيف لطفلةٍ في عمري أن تتعرض لذبحة، وفيما بعد شرح لي الطبيب كل شيء، أنني مريضة بالشريان التاجي، وأنني من المحظوظين أنه تم اكتشافه مبكرًا لأنه دومًا ما يسبب الموت المفاجئ.

ينعتني الطبيب بالمحظوظة، ولكن كيف هذا؟ فلن أستطيع الركض بعد الآن لأن قلبي لن يحتمل، ولن أرقص لأنه مجهود مضاعف.. لن أتناول كل ما أشتهيه من الطعام والحلوى لأنه مضر، أي نوعٍ من الحياة سأعيش الآن؟ لم يمتلك أبي المال الكافي لدفع تكاليف العملية التي يمكنها إنقاذي؛ بسبب توقفه عن العمل وإحالته على المعاش المبكر، والحقيقة هذا لم يزعجني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبدًا، فنسبة خطرها كانت أكبر من نجاحها.

استسلم الجميع للواقع، وطمأن الطبيب أسرتي أن هناك العديد من البشر
Telegram:@mbooks90
يعانون من نفس المرض، ويعيشون حياة طبيعية جدًّا، وأردتُ تصديق هذا من كل قلبي ولكن لم أستطع، وكأن موت جدتي جعل شريان قلبي يرفض الأكسجين ليأخذني المرض من حياتي كما أخذها الموت مني.

دخلتُ إلى غرفتي لأجد الفستان الذي أهدتني إياه جدتي ملقى عالسرير، كان فستانًا أبيض مرصعًا باللؤلؤ، ومن شدة تأملي فيه وقعت في حبه.

- هتبقي حلوة أوي وانتِ لبساه.

قالها أبي وهو يدخل إلى الغرفة ويُغلق الباب، ثم جلس على كرسي المكتب ونظر إليَّ باهتمامٍ كأنه ينتظر مني الحديث.

- مفتكرش هينفع أروح بعد وفاة نانا وبعد التعب اللي جالي.

- التعب كان عندك على طول، أنا شايف تحققي «لفكرية» اللي كانت بتتمناه، تشوفك في الحفلة بالفستان دا ويبقى كمان اعتزال ليكي.

- طب أنا هاعمل إيه بعد ما أسيب الباليه؟

- هتكملي في الرسم وتبقي فنانة مشهورة، ولو على الرياضة ممكن نلعب حاجة ما تتعبناش.. زي اليوجا مثلًا.

لم أكن متحمسة لهذه الفكرة كثيرًا في ذلك الوقت، ولكن أبي قام بكل الترتيبات الخاصة بممارستي الرياضة الجديدة التي يدَّعي أنها آمنة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مرت الأيام، وكانت مفاجأتي الكبرى أن الحياة رغم الوجع تستمر، ورغم الصدمات ستعود كما كانت من قبل رغم جروحك الغائرة، ستعتاد الابتسام، وربما المزاح أيضًا، وسينسى الناس ألمك، ورغم نزيف روحك لن تتوقف الأيام عن المرور، أنت فقط من يُعلن الحداد ومن توقع كذبًا أن الحياة ستتوقف، ولكنك ستتفاجأ أن كل شيءٍ كسابق عهده، الناس هم الناس، والصباح هو الصباح، والألوان هي الألوان، فلن تبكي السماء على دموعك، ولن تنشق الأرض لحزنك، وصدقني لن يتوقف الناس عن الضحك احترامًا لحدادك.. ستستمر الحياة كما عرفتها من قبل حتى وإن بُهتت قليلًا، فإما أن تُكمل رحلتك أو تصبح نسيًا منسيًا.

***

وقفتُ على المسرح لاستلام شهادة تخرجي من مدرسة الباليه، وأكاد أقسم أنني رأيتها! رأيت جدتي تنظر لي بفخرٍ شديد وكأنني أكبر إنجاز في عمرها كله.

- أنا متأكدة إن تيتا فخورة بيكِ أوي.

كان هذا أول تعليقٍ أسمعه من أمي عقب نزولي من خشبة المسرح، وكنتُ أعلم جيدًا أنها تريد التخفيف عني، لكنها جعلتني أشعر بغصةٍ، كأن أحدًا ما رمى قلبي بجمرةٍ مشتعلة لا تُطفأ أبدًا وكلمات الناس تزيدها توهجًا.

«البقاء لله»، «شدي حيلك»، «إنتِ قوية وهتقومي تاني»، وكأنني أصبحتُ عاجزة فجأة، وكنتُ أتوقع أن أصبح رمادًا هشًا، لكنني تحولتُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى حديدٍ أجوفٍ، فكنتُ أتحول إلى كائنٍ لا أعرفه شيئًا فشيئًا، مشاعري تخمُد، ويصبح كل ما يفرحني مجرد روتينٍ ممل ليس إلا.

واكتمل هذا الحدث بسفر أبي ببعثة عملٍ لإحدى الدول العربية، لأصبح وحيدة تمامًا مع أمي التي عاشت معي طوال هذه السنوات كالغريبة، ولكني تقبلتُ الواقع بصدرٍ رحب وأنا غير مبالية بالذي سألقاه غدًا.

***

ربما تؤلمنا حقيقة الذكريات أنها ليست جميلة كما نظن بل لئيمة، كل الضحكات واللحظات المميزة تتحول لفنٍ من فنون تعذيب النفس عندما تنتهي اللحظة ويفترق أطرافها، وهذا هو الواقع شِئنا أم أبينا، فكل شيءٍ يمضي ولا شيء دائم، وإنما تبقى الذكريات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المركز

هنا التقينا

أما بعد، فالألم يولد التفكر والتفكر يولد النضج، وأن تنضج قبل الميعاد المرتب لك ليس شيئًا تفتخر به، ستشعر أنك تُشبه أبو قردان وسط مجموعةٍ من بجع الفلمينغو الناري، فستجد نفسك تتمنى الموت صعقًا بالكهرباء كلما أرغمك القدر على التواجد مع أبناء جيلك، حيث سيبدو كل شيءٍ أبطأ، وكل حدثٍ مدوي سيصل إليك أثره كوميضٍ خافت، ستقرأ كل شيءٍ بوضوح، وستقرأ البشر بسلاسةٍ، ولن تستطيع رؤية الصورة الإجمالية بعد الآن، بل ستتخلل إليك تفاصيل التفاصيل دون إرادتك كما تسلل فولدمورت لعقل هاري بوتر ليقوم بالعبث في كل ما هو سليم ومتزن في عقله، لكنك في حقيقة الأمر سيبقى لك حصة من المتعة وأنت تتصنع السذاجة حتى لا تلفت إليك الأنظار.

Telegram:@mbooks90

ولكن لأكون منصفة.. سيبعث الله لك من يساعدك على تقبل واقعك الغير محبب، وهكذا بعث الله «رحيم» أخي ليكون هو ودراستي كل عالمي، فقد ولد وأنا في الثامنة عشرة، وكنتُ أشعر أنه طفلي الصغير وهديتي الخاصة من الله.

ولد «رحيم» بنفس اليوم الذي رأيت فيه اسمي بكشوف المقبولين بكلية فنون جميلة، والعجيب أنني كلما نظرت إليه أتذكر جدتي فهو يشبهها بدرجة كبيرة، لديه نفس الشعر البني والعينان العسليتان كما لو أنها ولدت من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جديد، ليكون هو سر إيماني الدائم بأن كل ما أفقده سيعود حتى، وإن عاد في صورٍ غير متوقعة.

لم تكن حياتي مميزة ومليئة بالمغامرات طوال السنوات الماضية، فما زلتُ كما أنا وحيدة بدون أصدقاء، فقط واحدة تُدعى «كنز»، واسمها يدل على صفتها؛ فهي الوحيدة القادرة على تحمل طباعي الغريبة، وكانت دائمًا تعتقد أن عدم حبي للبشر بشكلٍ عام هو السبب، فأنا لا أستطيع التعامل معهم ومع كذبهم، ونفاقهم، ولم أستطع مجاراتهم يومًا، لهذا أعتقد أنهم يبادلونني نفس المشاعر.

الـ nerd، هكذا يُطلق عليَّ زملائي في الكلية لأنني قليلة الكلام، والاختلاط، والأولى على الدفعة لمدة أربع سنوات، وكأنها تهمة أُدان بها، فلو يعلمون أننا جميعًا لن نعمل في مجال دراستنا أبدًا فلن يحزنوا كل هذا الحزن.

- رحيم والنبي بلاش اللوح دي غالية، وانا مش هاعرف أجيب زيها تاني، بعد التخرج هخليك تقطعهم كلهم.

نظر إليَّ ضاحكًا كعادته وترك لوحاتي وذهب ركضًا لألعابه، يا إلهي كم يحب هذا المشاكس الذي يبلغ من العمر خمسة أعوام العبث بأدوات الرسم الخاصة بمشروع التخرج ليفسدها جميعًا.

قاطع تفكيري صوت رنين الهاتف، أمسكته بتوترٍ فأنا لا أحب المكالمات التليفونية على الإطلاق، وهناك حالة واحدة يمكنني أن أقبلها في الاتصالات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهاتفية: «أنك ستفارق الحياة ووصيتك الأخيرة تتعلق بشيءٍ يخصني»، وبما أن هذا لن يحدث فلا تتصل بي أبدًا!

إنها «أمينة»، زميلتي بالصف، شخصية مريبة حقًا.. جميع البشر على وجه الأرض أصدقاء لها، وتجدها دومًا لطيفة بصورةٍ مبالغ فيها، وفي حقيقة الأمر لم أفهم هذا النوع من اللؤم بعد، تتحدث معك مرة واحدة، ثم فجأة تستفيق لتجدها تمسح بذراعك كالقطة الجربانة التي تمسح بشجرة، لتدعي أنها أقرب صديقة لك في الكون، ولا يسعك حينها سوى الابتسام لأن في الواقع هي بكتيريا طفيلية التصقت بحياتك!

أجبتُ ببرودٍ:

- ألو.

- إزيك يا زوزو؟

- أ... أمينة أنا اسمي زهرة بلاش زوزو دي أنا مش رقاصة.

- ماشي يا ست زهرة هاعملك اللي انتِ عايزاه عشان انتِ الأولى ع الدفعة وبتعملي لنا ملخصات تنجحنا.

قالت هذه الجملة ثم ضحكت بصوتٍ مزعج أكاد أقسم أنني أصبحت صماء بسببها، ثم لم تلبث حتى أكملت قائلة:

- ها.. طبعًا جاية عيد ميلاد كنز.

أجبت عليها بسخريةٍ:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أنا اللي عاملة العيد ميلاد يا أمينة!

ضحكت نفس الضحكة المستفزة التي تُشبه ضحك عاهرات بيوت الدعارة، ثم قالت:

- لأ أنا بتأكد بس، أصلك ما بتحبيش تقعدي مع ناس وعزمتينا كلنا.. طيب أشوفك هناك بقى يا زوزو.

لم يكن بيدي سوى إغلاق هذه المكالمة الممتعة، فبعض البشر لا يستحقون أن تمنحهم الوقت والتركيز، وأمينة أولهم.

***

لم أكن من محبي ارتداء الفساتين يومًا وبالأخص منذ وفاة جدتي، فقد كان الأمر أشبه بأداة بعث لكل ذكريات جدتي، ومعها يعود احتراق قلبي من جديد، لكن اليوم قررتُ أن أرتدي فستانًا بنفسجيًا قصيرًا ومطرزًا بالورود البيضاء، وكانت هذه المرة الأولى منذ كنت صغيرة التي أسمح فيها لعينيَّ أن تريا الحياة بدون نظارتي الدائرية التي تتمتع باللون الفضي المحبب لقلبي، فكثرة القراءة والجلوس أمام الحاسوب هما السبب في ضعف نظري -أو على الأقل أمي مقتنعة بهذا-.

استقليتُ سيارة أجرة، وطوال الطريق أحاول أن أُقنع نفسي أنه لا بأس من هذا المظهر الذي لا يمت لشخصيتي بصلة، فهو عيد ميلاد صديقتي الوحيدة، ثم تأملت في الهدايا التي قمت بإحضارها وأنا أتساءل هل ستعبر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن مقدار حبي لها؟ فلم أكن بارعة في التعبير عما أشعر به يومًا، وكلما زاد صدقًا كلما زاد انعقاد الكلمات في حلقي فلا تخرج أبدًا.

وصلتُ إلى الحفل، وفور دخولي التقطتني «أمينة» كالنسر الذي يلتقط فريسته، كانت ترتدي فستانًا أصفر قصيرًا للغاية، ولكن في الحقيقة دائمًا ما أعجبتُ ببشرتها السمراء، وشعرها الأسود القصير الذي يحدد ملامح وجهها جعلها تبدو كالذباب المُضيء بهذا الفستان! من أين يختار هؤلاء البشر ثيابهم أنا لا أدري!

- زهرة! إيه الحلاوة دي؟! تصدقي معرفتكيش.

- لا مهو واضح إنك معرفتنيش.

- هاتي الهدايا دي نحطها وسط باقي الهدايا.

وخطفت مني الصندوق بمخالبها كأنثى الأسد التي تخطف غنيمتها، وما إن التفت حتى ركضتُ مسرعةً كي أغيب عن حدود نظرها.

رأيتُ «كنز» صاحبة الجسم الممتلئ بعض الشيء والملامح اليابانية التي تجعلك تظن أنها من شرق آسيا في بداية رؤيتك لها، كانت ترتدي حجابًا زهريًا وفستانًا أسود رقيقًا، وتقف مع شابٍ لم أره من قبل، متوسط القامة إلى حدٍ ما، ذو بشرة بيضاء، وشعر أصفر داكن، ولحية كثيفة، ولكن ما لفت نظري هي نظراته الغير مفهومة، وكأنه على وشك أن يرتكب جريمة أو يُلقي اتهامات نارية لكل من ينظر إليه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لمحتني «كنز» بطرف عينها فأشارت في اتجاهي كي أنضم لهما، وذهبتُ إليهما في ترددٍ، وما إن وصلت حتى عانقتني «كنز» عناقًا شديدًا كاد يفتت عظامي، وحاولتُ أن أمتنع عن التأفف في هذا اليوم المميز، ولكني أعلم جيدًا مدى معرفتها أنني أكره التلامس الجسدي لأي سببٍ من الأسباب.

- كل سنة وانتِ طيبة يا كنزي.. ممكن تسيبيني بقى؟

تركتني مسرعة، وضحكت كالبلهاء، ثم قالت:

- أصل لقيتك متكلمتيش فقلت خليني لحد ما تزهقي.

ابتسمتُ وحاولتُ أن أكون لطيفة إلى حد المستطاع، وبعد ثوانٍ قليلة أدركت «كنز» فعلتها فقالت:

- معرفتكوش صح، دا يوسف التهامي كنت بشتغل معاه لو فاكرة.... ودي زهرة الربيع صاحبتي الأنتيم.

- زهرة الربيع؟؟!

تحدثتُ بثقةٍ كاذبة:

- هي كنز بتحب تهزر كده.

ثم رميتها بنظرةٍ نارية، فالحقيقة أنني لا أحب أن أعترف باسمي الكامل «زهرة الربيع غالي المحمدي»، حيث يبدو لك كاسم إحدى مشاتل معرض الزهور، ولا ألوم «يوسف» على صدمته هذه أبدًا في الحقيقة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حاولت «كنز» تلطيف الأجواء بعد ما قالته ومزحت قائلة:

- يوسف بقى اسمه إيجو.

وضحكت كالبلهاء، ولكن يبدو أنها لمست وترًا حساسًا للغاية عند «يوسف»، فقلتُ متسائلة:

- إيجو؟؟

رد يوسف قائلًا:

- آه يا ستي، أصلهم شايفين إني شايف نفسي حبتين، أو زي ما بتقول «كنز» مش طايق التيشيرت اللي أنا لابسه.

قالت كنز:

- بس دي حقيقة ما تنكرش.

قال يوسف:

- لأ مش حقيقة.

- نسأل زهرة طيب إيه رأيها؟

ثم فجأة وجدت أربع عيونٍ تحدق بي وتنتظر مني ردًا فقلت:

- إيه يا جماعة؟ أنا لسه مقابلاه من خمس دقايق.

فكف الاثنان عن النظر إليَّ بشكلٍ مريب، وأتت «أمينة» وجذبت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«كنز» من يدها للرقص، وتركتني مع هذا الإيجو كمن يجلس بجانب شخصٍ أجرب ويحاول التظاهر بأن الأمر لا يهمه على الإطلاق! مر الوقت كأنه شهور، وربما سنين، حتى تحدث «يوسف» أخيرًا وقال:

- تعرفي كنز من زمان؟

- يعني.. اتقابلنا في حفلة كانت عملاها أمينة واحنا في سنة أولى جامعة، ومن ساعتها واحنا أصحاب.

- هي بتحبك جدًّا على فكرة وما بتبطلش كلام عليكِ في كليتنا، وحتى بعد ما اتخرجنا وبقيت أنا وهي بنشتغل سوا.. كل شوية تقول لي زهرة زهرة زهرة.

- هي دايمًا بتحب تبالغ في الكلام عني.. بس أنا كنت فاكراكم شغالين سوا بس.

- لأ كنا سوا في تجارة برضه عشان كدا شغلتنا واحدة، بس أنا المشرف عليها.. فنون جميلة بقى حلوة؟

- بالنسبةِ لي حلوة جدًّا، مش متخيلة نفسي بعمل أي حاجة في حياتي غير الرسم والجرافيك.

- لو انتِ مهتمة إحنا محتاجين ناس في الجرافيك، ممكن تشتغلي معانا واهو تبقي مع صاحبتك برضه.

- أكيد، دا شيء يسعدني، بس بعد الامتحانات إن شاء الله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قام بإشعال سيجارة وبدأ في التدخين متقمصًا دور أحمد السقا في تيمور وشفيقة، ثم قال:

- آه معلش نسيت إنك الأولى ع الدفعة.

ابتسمتُ ليوسف لأنني تذكرتُ أنه يراني بهذا الشكل، مرت ثوانٍ قليلة قبل أن تعود «كنز» وعلى وجهها ملامح الغبطة الشديدة قائلة:

- اتعرفتوا على بعض أخيرًا! كدا بقى هنبقى ثلاثي.

***

لم أكن أؤمن بأسطورة الصديق المفضل أو توأم الروح أو حتى بالصداقة كفكرة! وحين تعرفتُ على «كنز» صنفتها تحت بند المعرفة التي حتمًا ستنتهي يومًا ما لا الصداقة، كنتُ مؤمنة أن كل من مروا أو سيمروا هم مجرد مرحلة، وكل ما حدث لي أثبت أن لا أحد دائم إلا وجه الله الكريم، ولكن فجأة وبدون سابق إنذار يأتي من يقلب كل الموازين، من طرح الأسئلة ومن جعلني أعيد النظر في كل حياتي؛ هل حقيقي أن الصداقة لا تموت بتفرق الطرق وأنها تحيا دهرًا إن أردنا ذلك؟ هل من الممكن أن يأتي غريب مع مرور الأيام وتربطك به صلة قرابة أقوى من صلات الدم لتجد نفسك تشعر بما يشعر، تتغير لتفهمه، تسعد لسعادته، وتصبح فخورًا بنجاحه، وتتمزق أوتار قلبك لتألمه؟

لم أُدرك طبيعة علاقتي بيوسف في البداية؛ فلم أتفهم نوع الصداقة الذي يجعلنا نتحدث يوميًا ويتدخل كل منَّا في تفاصيل حياة الآخر دون مراعاة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قانون «المساحة الشخصية»، ولكن بعد قليلٍ من الوقت انشغل كل شخصٍ بحياته وتفاصيله، وأصبحنا نتحدث مرةً إسبوعيًا، أو ربما لا نتحدث ونكتفي باللقاء الأسبوعي مع «كنز»، لأدرك منطقًا سحريًا لحل معضلةٍ يعيش الجميع على أمل إيجاد حل لها: «لماذا تبهت العلاقات ويختفي بريقها الساطع بعد فترةٍ من الزمن؟»

عندما يلتقي البشر لأول مرةٍ فإن فضول اكتشاف الآخر هو ما يدفعهم للحديث بشكلٍ مستمر، وهو ما يجعلهم في شغفٍ دائم لمعرفة تفاصيل حياتك وأن يكونوا جزءًا منها، لكن بعد فترةٍ من الوقت تتضح الصورة كاملة، ولا يحدث جديد في حياة كل منكما كي تستمرا في هذا الحوار الشيق، فأنت لست سوبرمان الذي ينقذ حياة العشرات يوميًا، ولستِ وندرومان التي تتخفى في زي فتاةٍ طبيعية، فستجد كل يوم جديد لتحكيه، فيبدو كل شيءٍ طبيعيًا أكثر وأقرب لحياة البشر، فنجد أنفسنا غير راضين عن هذا الواقع، لكن في حقيقة الأمر هذا التحول هو ما يجعلك تُدرك الواقع بصورةٍ أوضح للتعرف على طبيعة علاقتك بالطرف الآخر، فالتعود شيطان يتسلل إليك ليشوه مفهوم علاقتك بالآخرين، والقليل من المساحة يجعلك ترى صورة العلاقة كما يجدر بها أن تكون.

***

كعادتها الناس لن ترضى عنك وإن كنت قديسًا، فعليك الاختيار إما أن تعيش حياةً صحيحة لا مكان لآرائهم فيها، أو أن تموت تعيسًا نادمًا على كل الفرص واللحظات والتجارب التي كانت أمامك ورفضتها كي يقولوا: «بص

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الواد دا جامد إزاي؟!»، ولكن في مجتمعٍ مريض مُدَّعي المثالية.. من كان مثاليًا حقًا هو كل من نُعت بالمخبول والمجنون وقيل له: «والله ما انت نافع في حاجة».

إذا أردت أن تعيش حقًا، اختَر أن تُرضي قيمك ومبادئك ولا تبالي بالآخرين، -على الأقل إذا لم يحترموك ولن يحترموك فلن تخسر احترامك لنفسك-.

أهم دروس الحياة، إذا شعرت بالضياع والحاجة إلى مساعدةٍ فلا تلجأ للبشر؛ بل اختلي بنفسك وابحث عن أصل حاجتك للمساعدة وتولى أنت جميع أمرك، فمتى احتجت للبشر ذُللت وكُسرت.

في الفترةِ الأخيرة شعرتُ بمرض الاستحقاق، أنني أستحق كل ما هو جيد، ولا أحد سواي يجب أن يمتلك الأفضل، وأن الناس يجب أن تعاملني معاملة خاصة لأنني الأولى على الدفعة، ولأنني سأصل إلى ما لم يصل له أحد من قبلي قد يرى البعض هذا أمرًا طبيعيًا، لكنني خفتُ أن أكون ضحيةً للغرور، لهذا قررت الابتعاد قليلًا عن صخب الحياة اليومية وأنعزل لأجد مفهومًا جديدًا لحياتي.

***

أمسكتُ دفتر مذكراتي الوردي وقررتُ أن أبدأ الكتابة فيه للمرةِ الأولى كنوعٍ من التغيير، جلستُ أمام النافذةِ أتأمل القمر المكتمل، ثم بدأتُ أُسطر أولى كلماتي بشكلٍ غير مرتب، كل ما أردته هو إخراج كل الأفكار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من رأسي لأتمكن من النوم:

«أدركتُ أن مشكلتي لم تكن في وفاة جدتي أو انشغال أمي أو حتى سفر أبي، مشكلتي أنني لم أبحث عن الأسباب الأصلية لما أفعله في حياتي، كانت مشكلتي هو أنني بعيدة كل البعد عن ذاتي الأصلية! فكل إنسان منَّا هو مرآة نفسه، إذا تجاهل العلامات والمؤشرات سيضيع في زحام الدنيا وسيركض دون واجهةٍ أو هدف، لقد فقدت قدرة التعايش، والحوار، وتجاهلت ما أشعر به وأحتاجه وكأن كل شيءٍ على ما يرام، فتحول كل هذا إلى تضخيم الذات ومنها مرض الاستحقاق، في مرحلةٍ ما عليك تقبل الواقع، وأنك لست مميزًا كما تظن، ولم تُخلق لتغيير العالم، بل عليك فقط بتغيير حياتك.

سيمر عمرك دون مصافحة من اعتبرته قدوة لك منذ الصغر، ولن تتمكن من الجلوس معه، والتقاط صورة تذكارية، والحصول على توقيعه أيضًا - واقع مخيب للآمال-، ولكن بالله هل يعني هذا أنك لم تلتقِ به أبدًا؟ ربما في الأحلام.. في الآراء.. في المبادئ والأخلاق، حتى فى التصرفات، كل ما تحتاجه هو قناعة أن ليس كل من نعرفهم سنلتقي بهم حقًّا، لقد كنت مخطئة حين تخيلت أن كل شيءٍ في هذه الحياة ممكن، وأن لا شيء مستحيل وسأصل لا محالة ما دمت مؤمنة بالوصول، ولكن من نضج الإدراك هو معرفتك بأن الحياة لن تعطيك كل ما تشير إليه بل ستعطيك ما تستحقه فقط.

لقد كنتُ متعجرفة! كنت أدفع بكل من يحاول الاقتراب مني إلى الغرق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في بحر الاتهامات وكأنه يريد سرقة كل جميلٍ في حياتي ويفر هاربًا بعدها، وكانت شماعتي هي أن لا أحد يحبني ويفهمني بالشكل الكافي، ولكنني نسيت في الأصل أنه لا يوجد من سيحبني بالشكل الذي أراه أنا كافيًا، بل سيحبني على طريقته الشخصية! أمضيتُ حياتي بين الكتب ليصبح إدرا كي الداخلي نقمة لا نعمة، أصبحتُ أفهم البشر من اللحظةِ الأولى لحديثهم معي فظننت أنني لا أُقهر، وأمثالهم لا يستحقون صداقتي، تعلمتُ أن أكون على درايةٍ بما يحدث حولي أكثر مما ينبغي، ومهما بلغ عدم اهتمامي ستتخلل إليَّ التفاصيل دون أن أدري، ولهذا مع مرور الوقت شعرت أن انعزالي عن العالم هو الحل، وأن مع مرور الوقت يصبح ما يحدث خارج حدود غرفتي ليس من اختصاصي، وربما مجرد المتابعة ليس من شأني»

قاطع تفكيري صوت أمي وهي تتشاجر مع مسؤولة النظافة في مدرستها، ووجدتُ «رحيم» يركض إليَّ مسرعًا، ويغلق الباب خلفه، وأتى ليختبئ بأحضاني، فأغلقتُ دفتري وأمسكت به.

- الواحد مش عارف الدوشة دي لازمتها إيه؟ يلّا ننام.

وحملته على كتفي، ثم وضعته في سريري وتظاهرت بالخلود للنوم بجانبه، ولكن لم يكن هذا إلا مدخلًا لفكرةٍ جديدة تتسلل رويدًا رويدًا إلى أعماق عقلي، دائمًا ما أتساءل ما فائدة العصبية والتحفز؟ في كل مشادةٍ كلامية تحدث أمامي أتخيل أطرافها صراصير وضعوا أمام مكبر صوتٍ عالي الحساسية، لتصدر منهم أصوات لا يتحملها بشر!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن لِم يحدث كل هذا من الأساس؟ هل عدم تقبل الناس وجهة نظرك سيقتلك؟ أو كرههم لما تحب سيتسبب بنهاية العالم؟ أو حتى كفرهم بما تؤمن سيشيع الفساد في الأرض؟ وفي حالة أمي.. أتأخر إحضار أوراق المرحاض سيصيبها بفيروس سي؟!

علينا تقبل فكرة الاختلاف، وأنه وإن تشابهنا في شيءٍ فلسنا متطابقين، وتُعد هذه أولى قواعد الحياة السعيدة وأهمها: «دع الخلق للخالق وإن كنت في محاوراتهم عالق»، توقفْ عن دخول مناقشاتٍ غير ضرورية وبدء مهاتراتٍ قد لا تنتهي سوى بإصابتك ببعض الأمراض المزمنة كالضغط والسكر والقلب وربما جميعهم! فقط توقف عن خوض الحروب التي لا تخصك وارضى بأهم مبدأ من مبادئ الكون، استيعاب البشر درجات وإن أردت الراحة عامل كل منهم بدرجته الخاصة.

أردتُ أن أذهب لأمي وأخبرها بالنتائج العظيمة التي توصلت لها، ولكن النوم تغلب عليَّ واستيقظتُ في الصباح على صوت رنين الهاتف.

- ألو.

- أيوة يا زهرة أنا كنز.

- عايزة إيه؟

- يا ساتر يا رب، حد يعمل كدا؟ عايزة إيه زي العسكري! جبت لك رقم دكتور قلب كويس عشان تكشفي للعملية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- كنز.. أنا مش هعمل عملية.

- يا زهرة باباكي بقى معاه الفلوس وانتِ لازم ترجعي بصحتك، متخليناش نفضل نعد كل نفس ليكي مش عارفين طالع غيره ولا لأ؟!

- يا كنز أنا اتولدت كدا، يعني ما كنتش بصحتي في حياتي كلها ومع ذلك عايشة.

- معلش هتريحينا وتيجي نشوف الدكتور، متخلنيش أفشل في أول مهمة عيلتك كلمتني فيها.

رفضتُ اصطحاب أمي لزيارة الطبيب، وذهبتُ مع كنز ويوسف إلى عيادة الدكتور «عمر العجمي»، وجلستُ في انتظار الدخول في توترٍ.

- آنسة زهرة، اتفضلي.

دخلتُ في قلقٍ وأنا ممسكة بيد «كنز» كالأطفال، ودخلتُ لأجد شابًا في منتصف الثلاثينيات يجلس على مكتبه، ذو بشرة بيضاء وجسد رياضي، ويمتلك عينين عسليتين تخطفان الأنظار، يخبئ سحرهما خلف عدسات نظارته المربعة.

- بما إن انتِ المتوترة يبقى انتِ زهرة.

وهبَّ واقفًا لمصافحتي، ثم قال بينما جلست أنا وكنز:

- أنا شفت كل الأوراق والتحاليل اللي كنز بعتتها، وأبشرك العملية حاليًا بقت بسيطة وآمنة مفيهاش قلق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- بس.. بس أنا مش عايزة أعمل عملية وجيت النهار دا أقول لك لو فيه دوا معين ممكن آخده وخلاص.

لم تبدُ «كنز» متفاجئة مما قلته، وعلى الأغلب توقعته، لكنها تفاجأت عندما قال «عمر»:

Telegram:@mbooks90

- أنا موافق جدًّا بس لازم تجيلي كل أسبوع تتابعي معايا، وتبقي عارفة في حالة حصلت لك أزمة زي اللى حصلت لك وانتِ صغيرة هدخلك العمليات فورًا.

- تمام، أنا موافقة.

- بس يا دكتور...

قاطعها قائلًا:

- ما تقلقيش، ولو تحبي تيجي معاها كل أسبوع تطمني تعالي.

مع مرور الأسابيع، اعتدتُ على لقاء «عمر»، ونشأت بيننا صداقة من نوع خاص، فقد كان هو الشخص الوحيد الذي يعلم شعوري بخصوص مرضي، وكنت أنا المريضة الوحيدة التي تتفهم مدى كرهه لمهنته رغم نجاحه الباهر فيها، لأنه وعلى الرغم من براعته فقد فشل في إنقاذ حياة والدته وفارقت الحياة، وهو يجري لها عملية جراحية، كان الأمر أشبه بلعنةٍ أصابته، فلم يستطع رؤية أي شيءٍ كما كان من قبل، ولا أستطيع لومه فقد كان طبيبًا حديث التخرج حينها، وكان المساعد لطبيبٍ كبير وهو من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أجرى لها الجراحة، ولكن فكرة رؤية قطعة من روحك تفارق الحياة، وأنت من يحاول إنقاذها قد تصيب أي شخصٍ بالجنون الفوري ولهذا أنا أحترم صلابته وقوته.

وأعتقد أنه علمني درسًا مهمًا للغاية، أن الصبر هو مفتاح هذه الرحلة الشاقة، لن يحدث ما تريده بين ليلةٍ وضحاها، وليس من المؤكد أن يحدث كل ما تريده وإلا ستصبح إلهًا! لن تحصل على نتيجةٍ بدون تعبٍ وسهر، ولن تُصبح ناجحًا بدون أن تفشل وتذرف دمًا ودموعًا، وأيضًا لن تكون في المقدمة طوال الوقت! فهذا حال الدنيا.. لكل نجاحٍ نهاية كما كان له بداية، وإذا بحثت في كل قصص النجاح ستُدرك جيدًا أن من رحم كل فشلٍ وألم يولد النجاح، وبدونهما لم يُرَ أو يُدرك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دائرة القلب

تعرف

أنه هلاك قلبك

ومع ذلك لا تبالي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحيط

من سأكون؟

ماذا سيحدث إذا علمت أن كل ما تمر به في حياتك سينتهي؟ الحزن.. الفرح.. النجاح.. الفشل، وحتى الألم سيمضي دون عودة! هل ستتوقف حينها عن البكاء؟ هل ستكف عن الاختباء في أحد أركان غرفتك والانكماش على ذاتك كأنك تود الاختفاء من هذا العالم كلما حدث لك شيء سيء؟

نحن البشر وعلى الرغم من معرفتنا أنه لا شيء دائم وأن كل شيءٍ سيزول لا محالة، ما زلنا نظن أن أحزاننا ستقتلنا، وفشلنا سيمحي النجاح، وأن الشمس لن تشرق من جديد، وأن أحزاننا ستتجدد وستعود إلينا كاللعنةِ الأبدية.. ولكن كل ما يحدث لنا هو مجرد تهيئة للشخص الذي يجب أن نصبح عليه.

ها قد تخرجت بتقدير عام امتياز، وفي المرتبة الأولى على دفعتي، ومر شهران ونصف وما زلت في عداد العاطلين عن العمل، ولا أتمنى لأي شخصٍ أن يشعر بما أشعر به الآن، كما لو أنني أمضيتُ حياتي في الهراء.

استيقظتُ على صوت رنين الهاتف كالعادة، وكان المتصل هو «يوسف»، أجبتُ في كسلٍ شديد:

- ألو.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما يعجبني في «يوسف» أنه دائمًا لديه هدفًا من الاتصال، وإن لم يكن هناك هدف فهو لا يتصل أبدًا، ففضلت الصمت والأمر لم يستغرق ثلاث ثوانٍ حتى أخرجَ ما في جعبته قائلًا:

- أنا جبت لك شغل معايا أنا وكنز، بس مش في التسويق طبعًا، هتشتغلي مصممة لغلاف المجلة.

- مجلة.. مجلة إيه؟

- بقالنا سنة نعرف بعض، وقبلها خمس سنين تعرفي كنز، وما تعرفيش إننا شغالين في مجلة موضة؟!

- متدخلنيش في تفاصيل، المهم أعرف إنكم شغالين في التسويق وبس.

- طيب يلّا.. أنا أصلًا وريت شغلك للمدير وانتِ مقبولة من قبل ما تروحي.

- مش فاهمة إنت وكنز هتبطلوا ترتبوا لي حياتي إمتى؟

- لما تكبري وترتبيها انتِ.

يوسف وكنز يجعلونني دومًا في حيرةٍ من أمري، ماذا كان سيحدث لحياتي إن لم يكونا في الجوار؟ نعم بالطبع ستزداد بؤسًا.

أتذكر جيدًا عندما كنتُ طفلةً، كنتُ أريد أن أُصبح ساحرة، ثم بعد قليلٍ من الوقت أردتُ أن أصبح راقصةَ باليه شهيرة وأرتدي فساتينَ خلابة، وينظر الجميع لقوامي الممشوق ويتخيلونني فتاة أحلامهم، ثم نضجت بعض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشيء فأردتُ أن أكون رسامة كبيرة مثل دافينشي وبيكاسو، وأعتقد أن هذا علمني درسًا مهمًا، وهو أن لا شيء دائم حتى شغفك! فأحلامنا الثلجية تذوب مع شروق الشمس وترحل مع من سبقوها من أحلامٍ لن تصبح واقعًا يومًا، والدليل هو ما أنا عليه الآن، فقد أصبحتُ فتاة أقل من العادية، أقوم بتصميم عدة أغلفة لكل إصدار من المجلة ليختار مجلس الإدارة واحدًا منهم، أو ربما لا يختار ويطلب مني عمل جلسة تصويرٍ أخرى، وتعديلها من جديد.. ولا أنسى أن أظهر إبداعي كمصممة في الغلاف، وفي المقابل عليَّ الاعتراف بأنهم على حقٍ حتى أتمكن من صرف مرتبي كاملًا في نهاية الشهر، أو على الأقل أستمر بالعمل، في بعض الأوقات أتخيل نفسي سأشيخ في هذا العمل، أستمع للتعليقات من بعض الأغبياء عديمي الفن، وأقابلها بابتسامةٍ بلهاء لينتهي بي الأمر بإنفاق ما أجنيه على علاج الأضرار النفسية التي تلحق بي كآثار جانبية للعمل، هناك مقولة أجنبية لطالما آمنت بها:

get yourself you deserve a life

فإن كان هذا ما أستحقه بعد عناء تعليم ثماني عشرة سنة، والدراسات الإضافية التي قمت بها، والتدريبات الصيفية فإنني أمتلك حظ الخنفساء لا محالة!

***

وصلت إلى المكتب في ثباتٍ وأنا أحاول التغاضي عن كونه اليوم الأهم في مسيرتي، حيث سيتم نشر الغلاف الأول الذي سيُنشر باسمي بعد العمل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليه لأكثر من شهرٍ ونصف، وعليَّ الاعتراف أنني أشعر بالفخر الشديد والسعادة أيضًا على الرغم مما واجهته.

كان المكان يُشبه الفصل إلى حدٍ كبير، فقد تم دهن الحوائط باللون الرمادي، ويزينها بعض اللوحات المحفزة للموظفين، وهناك أيضًا سبورة بيضاء، وبعض الأقلام المبعثرة للكتابة عليها، وعدة مكاتب تم وضعها بشكلٍ دائري حول الغرفة، ويترأسهم مكتب نخم للغاية كما لو أنه ينتمي للطبقة الأرستقراطية وباقي المكاتب من عامة الشعب، جلستُ على مكتبي بجوار «كنز» وبدأتُ أتأمل المكتب وزملائي لأول مرة تقريبًا، فمنذ استلامي للعمل لم يكن لي مكان محدد، كنتُ أتنقل بين غرف التصوير، وأتابع الطباعة للأغلفة، وأجلس على الحاسوب المتنقل بالكافيتريا لأحتسي فنجان القهوة وأنا أعمل على تعديلات التصاميم، وأخيرًا انتهى هذا الكابوس وأصبح لدي مكتب خاص إلى حين بدء العمل على عددٍ جديد لأعود لدائرتي الجحيمية التي لم تصبح محببة إلا عندما رأيت ثمارها تنبت اليوم بأول عملٍ حقيقي خاص بي.

- أنا هموت من الفرحة إنك جنبي في نفس المكتب.

- وانا هموت من الخوف لتفتحي في الرغي.

نظرت إليَّ «كنز» بوجهٍ خالٍ من التعبير، ثم قالت: - والله عيب علينا، أومال نقضي وقت فراغنا في إيه؟

- تقضيه في إنك تخلصي شغلك المتأخر يا كنز.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال «يوسف» هذا أثناء دخوله للغرفةِ وجلوسه على أفخم مكتب فيها.

- إيه دا هو يوسف الريس علينا بجد ولا إيه؟!

- عليَّا أنا وباقي الناس دي، إنتِ ضيفة معانا في قسم التسويق، يعني لو كلمك إديله على قفاه.

انفجرت في الضحك للحظاتٍ لأن نبرة صوت «كنز» كانت كمن لديه ثأر قديم يريد أخذه، ثم بدأت أتأمل زملائي المنهمكين في العمل، وأقرأ لوحة الاسم الموجودة على كل مكتب لأتعرف عليهم في صمت.

Telegram:@mbooks90

إلى جانب «كنز» يجلس شاب أسمر البشرة ويبدو عليه الإرهاق ويرتدي نظارات بارزة يُدعى «حازم محمد»، أما في الاتجاه المقابل يجلس شاب وسيم ذو شعر طويل أملس، وذقن سوداء، وقد بدا عليه الارتباك عندما نظرت إليه، فأبعدتُ نظري فورًا لأرى الاسم، يُدعى «رامي عبد الله»، إلى جانبه فتاتان تتبادلان أطراف الحديث على شكل همسٍ تكاد تقسم أن لا أحد سواهما يفهم ما تقولانه، الأولى هي «منال عارف» صاحبة ملامح حادة، وقد حددت عينيها العسليتين بالكحل لتبدو بارزة أكثر مما يجب، أما الثانية هي «نوران لطفي» صاحبة أطول ضفيرة رأيتها في حياتي، ولولا جمالها الغير ملفت لظننتُ للحظةٍ أنها «ريبانزل»، لم يتبق في المكتب كله سوى فتاةٍ واحدة تُدعى «كارمن نور الدين»، تُشبه موظفي الاستقبال في البنوك؛ لأن ثيابها كانت رسمية بشكلٍ مبالغ فيه، وملامحها تبدو هادئة وبريئة لحدٍ كبير، ولكنني لا أستشعر أننا سنصبح أصدقاء، ما لفت نظري حقًّا هو تحديقها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المستمر بيوسف وكأنها تركت عقلها عنده وهو لا يدري.

***

مضى على تواجدي في العمل أكثر من ثلاثة شهور ولا جديد سوى زيادة مبيعات المجلة منذ عملي الأول وحتى الآن مما جعلني من المفضلين لدى مجلس الإدراة، وبدأوا بوضع رأيي في عين الاعتبار، وقرروا أنني سأكون المشرف العام على تصميم المجلة من بداية العام الجديد، ولم أشأ أن أخبر أي أحدٍ فعلى الأغلب لن يحدث هذا الشيء.

كان اليوم هو موعد زيارتي الأسبوعية» لعمر» ولكنه اتصل لتأجيل الموعد، شعرتُ بإزعاجٍ غير مبرر لدرجة أنني اتخذتُ قرارًا بعدم الذهاب إليه مرة أخرى وقمت بحذف رقمه من على هاتفي، ولم أستطع فهم غضبي الشديد منه، ولكن قراري هذا أشعرني بالرضا الشديد عن الذات وكأنه سينسيني مرضي.

في صباح اليوم التالي وصلتُ إلى الشركةِ مبكرًا على غير العادة، فلم أستطع النوم من فرط نقمي على «عمر»، وتوقعتُ أنني سأكون وحيدة لكني وجدت «رامي» جالس على مكتبه ومنهمك في الرسم كما لو أن حياته متوقفة على هذه الرسمة، حاولت لفت نظره حتى لا يشعر بالذعر كعادته فقلت:

- صباح الخير يا رامي.

ارتبك للغاية ووقع قلمه من يده وقام بإغلاق الدفتر مسرعًا كما لو أنني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضابط قبض عليه في وضع مخل، ثم أخذ يجمع نفسه لعدة ثوانٍ ثم قال:

- ص... صباح النور يا زهرة، أول مرة تيجي بدري!

- آه، قلت أنزل بدري كدا قبل الزحمة و...

قاطعني قائلًا:

- شكلك مش نايمة.

تفاجأت من ملاحظته القوية، ويبدو أنه شعر بعدم ارتياحي فأكمل حديثه مسرعًا:

- بتفكري في غلاف الشهر دا ولا إيه؟

ابتسمتُ قائلة:

- دي حقيقة، بس إن شاء الله هتجيلي فكرة في جلسة التصوير.

- أنا نفسي أحضر جلسة تصوير.. وأشوف الموديلز بقى وكده.

ضحكت على طريقة تعريبه للإنجليزية، ثم قلتُ:

- يبقى تيجي معايا الجلسة دي وتشوف الموديلززز.

ضحك في حرجٍ كعادته، والحقيقة أنني شعرت بمزيج من الراحة لأنني سأكون صداقة جديدة من العمل والإزعاج لأنني لا أُحب اقتحام الغرباء لعالمي الخاص.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كصيفٍ حار مليء بالتعب، وخريف أجوف خالٍ من الأخبار السارة مرت أيامي داخل هذا المكتب بين الحديث مع «يوسف» تارة، وقضاء بعض الوقت مع «كنز» و«رامي» تارة أخرى، ولكنني كنت أجد نفسي أحن لحديثي مع «عمر»، وكأنه الماء التي ستروينى في هذا الظمأ القاتل، ولم أفهم شعوري تجاهه، وفي النهاية اقتنعت أنه الشيطان نفسه، شيطان التعود الذي لن أقع في فخه مرة أخرى؛ فكلما جاءت ضحكته إلى عقلي طردتها بتذكير عقلي أنه لم يتكبد عناء الاتصال عندما لم أحضر في موعدي المعتاد، وعندما تشتاق مسامعي لحروف اسمي بصوته أتذكر أنه لا يفكر في حالتي الصحية كمريضة حتى! يا إلهى يبدو أنني أقع في الفخ الذي لا نجاة منه فماذا أفعل؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المركز

لعنة كيوبيد

وكأن عقارب الساعة توقفت والزمن انتهى، وكأن العالم من حولي تجمد وأصبح عدم، إنها النهايات.. متى اقتربت أخذت كل ما تحمله في قلبك وعقلك.. تاركة الأخضر يابسًا والشريان النابض بالذكريات مسرطنًا ومهددًا بالانفجار، ولنكن أكثر واقعية.. سينفجر لا محالة! ليذكرك بكل ما مضى وتصبح الضحكة دمعة والفرح حزن والاشتياق فقد، وكل ما سيتبقى لك حينها هو مجرد أنابيب اللحظات السعيدة التي مرت بك مع من تحب، تستنشق عبيرها الطيب من حينٍ لآخر، ثم تعود مرة أخرى لهذا العالم السام.

اتصلت «بيوسف» لأسأله عن سبب غيابه المفاجئ عن العمل اليوم، فرد بصوتٍ خافت قائلًا:

- ألو.

- مال صوتك فيه إيه؟!

- ستي ماتت يا زهرة.

وانفجر في البكاء الشديد وشعرت بأنني لا أستطيع استيعاب ما يحدث وكل ما أشعر به هو وخز شديد في صدري.

- اهدى يا يوسف طيب.. اهدى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخذ يردد «الحمد لله..أنا راضي» أكثر من مرة، وفي كل مرة يزداد ألم صدري وأنا أعلم جيدًا ما يحدث لي؛ فقد عدت إلى حيث كانت البداية، وفاة جدتي.. رأيت كل تفاصيل وداعها أمام عينيَّ، ثم غاب كل شيءٍ واختفى ليتكرر نفس سيناريو الأحداث، ولكن هذه المرة أستيقظ وأنا أشعر بوخزٍ أكبر في صدري، وأستمع إلى جهاز نبضات القلب، حاولت أن أحرك يدي لأتحسس سبب هذا الوخز ولكن أشعر بثقلٍ شديد فيها وكأنها لم تتحرك منذ سنين، وهناك قناع أكسجيني مسيطر على وجهي كما لو أنه أخطبوط ملتصق بأنفي وفمي، حاولت الحديث ولكن لا أجد قوة، وفي هذه اللحظة سمعت صوت الباب وهو يُفتح لأرى «عمر» قادم نحوي في لهفةٍ وهو يقول:

- حمد الله على السلامة يا زهرة.. مبروك إنتِ خفيتي خلاص.

ثم أزال القناع الأكسجيني لأتمكن من الحديث أخيرًا بينما يتسلل أفراد أسرتي للغرفة ومعهم «يوسف» و«كنز»، وشعرت بيد «عمر» الدافئة تُمسك بيدي لأطمئن.

«أنا شفت فكرية»، كان هذا أول ما قلته بعد غيابٍ طويل على ما يبدو، بدأ الجميع في تبادل النظرات المريبة، بينما عينا «عمر» لا تتحركان من علي، وارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة، لم أكن أعلم إن كان ما رأيته حقيقة أم لا؟ لكنني عشت فيها بكل جوارحي، وشعرت بحنان جدتي من جديد وإن كان وهمًا، احتجتُ لرؤيتها مرة أخيرة لأخبرها كم أحبها وكم أشتاق إليها وإلى عبير زهورها كل صباح وكوب الحليب الدافئ كل مساء.. رائحة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البسكويت بالقرفة الذي كانت تقوم بعمله كل أسبوع، حضنها الذي يشبه الوطن.. أردت أن أخبرها أنني منذ رحيلها بلا وطن! جدتي كانت الجنة وأنا كآدم طُردت منها بوفاتها.

- أنا مش مصدق إنك رجعتي يا زهرة.

كان هذا «عمر» الذي صدمني بنبرة صوته القلقة، فأبعدت نظري عنه لأجد أمي تبكي على كتف أبي وبجانبهم «رحيم» ينظر إليَّ كمن عاد من سفرٍ بعيد، أما «كنز» و«يوسف» كانا يتأملاني في حذرٍ كمن لا يصدق وجودي.

- هو.. إنت رجعت من السفر إمتى يا بابا؟

- من أسبوعين يا كوكيز.. حمد الله ع السلامة.

- إسبوعين ليه؟ هو أنا بقالي قد إيه كده؟

نظر الجميع لعمر وكأنهم يحثونه على الحديث حتى قال:

- بقالك شهرين في غيبوبة يا زهرة.. وقلبك وقف فيهم تلت مرات.. أنا كنت فقدت الأمل إنك ترجعي مع إني عملت العملية صح.

- شهرين؟!!.. وقلبي وقف تلت مرات؟! يعني أنا شفت فكرية بجد؟!

لم يهمني أي شيءٍ سوى أنها كانت حقيقة، رأيتها وتحدثت معها ويبدو أنني أردت المغادرة معها ولكن قبل موعدي المحتوم، ثم تذكرت عملي ومستقبلي فنظرت مسرعة ليوسف وكنز، ثم قلت:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- طب والشغل.. خلاص سيبته؟!

ضحك الجميع لسذاجة تفكير فتاة عادت لتوها من الموت وأجابت كنز:

- لا يا كوكيز.. يوسف اتكلم مع المديرين وفهمهم حالتك.. إنتِ كنتِ في إجازة مفتوحة، وحتى كل الأغلفة اللي ما كانتش بتتاخد خدوها في الأعداد اللي طلعت وانتِ مش معانا وحققت نجاح كبير.

شعرت بالغبطة الشديدة، ثم نظرت لعمر وقمت بسحب يدي من بين كفيه كالقطةِ الهاربة وقلت:

- إنت دكتور إنت؟! تعتذر عن ميعاد استشارة ومتفكرش تتصل بعدها!.

- عندك حق أنا دكتور وحش.. بس الوحش دا هو اللي أنقذ حياتك على فكرة.

قالها وعلى وجهه علامات الفخر الشديد، وقبل أن أتمكن من الرد عليه قال:

- هستأذن أنا دلوقتي وهرجع لكم كمان شوية.

تحدثت أمي بعد طول انتظارٍ متساءلة:

- طب مش هتطمنا عليها يا عمر؟

- تطمني إيه أكتر من كدا دي قردة يا طنط.. أنا هخليها كام يوم بس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عشان أطمن أنا، لكن هي مش هامها حاجة زي ما حضرتك شايفة.

قالها وغادر الغرفة وأنا أشعر بالغرابة، ما هذا التعامل الحميمي بين أمي وعمر؟ وكيف تمكن من إمساك يدي أمامهم جميعًا؟

قالت «كنز» كمن يعلم ما يجول بخاطري:

- عمر دا جدع أوي.. وكان خايف عليكي أوي، تقريبًا ما كنش وراه غيرك وغيرنا طول الشهرين دول.

- عادي يعني زي أي مريضة.

قال «رحيم»:

- لأ هو قال لي إني زي أخوه، وكان يجيب لي سوكولاتة.

- انطقها صح الأول وبعدين اتكلم.

***

أيها الزائر الخفيف المُسمى بالحب، لم أكن أؤمن بوجودك سوى في خيال كُتاب الأفلام الرومانسية، لم أستوعب فكرة الذوبان في روح أخرى والفناء بدون هذه الروح! لم أكن أعلم أن السعادة يمكن أن تُهدى في كلماتٍ وابتسامات، في رسائلٍ ورقية وفي مشاجراتٍ سخيفة تحمل تصريحاتٍ واضحة بالاستسلام التام لسحرك! لقد عثرت عليك بكل تفاصيلك المُرة قبل الحلوة، بسهر الليالي في انتظار مكالمته، ودقات قلبي السريعة عند لقائه وكأنه الحقيقة الوحيدة في هذا الكون، أيها الحب لقد أصبحنا أصدقاءً، ونسير في نفس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدرب، لم أبحث عنك يومًا، لكنك وجدتني لهذا أشكرك كثيرًا على العثور عليَّ بين مواعيدك المشغولة، ورجاءً كن حنونًا على صديقتك التي صدقت وجودك، ولم تصدقك بعد.

قضيت أيامي المتبقية في المشفى بين زيارات أمي وأبي، ومبيت كنز معي، وزيارات أخرى من «يوسف ورامي»، وإقامة كاملة من «عمر» داخل غرفتي وكأنه قد ترك العالم كله من أجلي، وكان يروقني ذلك إلى حدٍ كبير.

- هو انت هتفضل سايب حياتك، وقاعد لي كدا كتير؟

- وانتِ يهمك في إيه يا اختي؟ حياتي وانا حر فيها.

كان هذا الرد كفيلًا بإسكاتي عن الكلام، فنظرتُ «لكنز» طالبة المساعدة فقالت:

- لأ هي تقصد مفيش مرضى تانيين يعني لاحسن تكون معطلاك

- لأ عندي مساعدين بيتابعوا كل حاجة، وعمومًا هتخرجوا بكرة خلاص، وهشوف مرضى غيركم.

شعرتُ بالدهشةِ الشديدة لأنه يخبرنا بذلك كأنه أمر على هامش القضية:

- وكنت ناوي تقول لنا إمتى إني هخرج؟

- قلت لعمو وطنط مش لازم أقول لك.

قال هذه الجملة وهو في اتجاهه للخروج، فأوقفته قائلة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- إيه طنط وعمو دي اللي عمال تقولها دي؟!

- مش شغلك يا ماما خليكي في نفسك.

وفي اليوم التالي جاء أبي وأمي لاصطحابي إلى المنزل، وكانا في انتظاري بالسيارة، أخذت «كنز» الحقائب وسبقتني إليهما، أردتُ أن أودع هذه الغرفة أو بالأحرى أودع مرضي وأستقبل حياتي الجديدة كإنسانةٍ طبيعية.

- شكلك مبسوطة أوي إنك ماشية.

التفتُ لأجد «عمر»، فابتسمتُ لا إراديًا وقلتُ:

- مبسوطة أكيد.. بس أنا لازم هشوفك بعيد عن جو المرض ده.. لو انت عايز يعني.

بدى عليه السعادة الشديدة وقال:

- طبعًا عايز يا زهرة! دي حاجة تسعدني.. بصي هنخرج آخر الإسبوع ده.. إيه رأيك؟

شعرتُ بقلبي يرقص بين ضلوعي من فرط السعادة وكأن كل كنوز الدنيا أصبحت بين يدي فقلت:

- دي حاجة تفرحني يا دكتور.. واهو برضه تبقى بتطمن على مريضتك.

كلما اقترب موعد لقائي بعمر ازداد توتري، وشعرتُ بفراشاتٍ تطير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بداخل أمعائي وأطرافي ترتعش خوفًا، فهذه هي المرة الأولى التي سنلتقي فيها بعيدًا عن العيادات والمستشفيات وأنا صحيحة وتم إنقاذي على يديه، لا أعلم كيف وصلت إلى هذه المرحلة؟ تعلقت ثم تعلقت ثم فجأة وجدت نفسي ضائعة كليًا في ذاته! أغرق وأستمتع بغرقي، فقدتُ قدرتي على النوم وأصبحت مراقبتي له ليلًا هي المفضلة، تحولت لأحب ما يهواه وأكره ما لا يعجبه، تغير أسلوب كلامي ليشبهه، وحركاتي كما لو أنني نسخة مصغرة منه! إنه الحب.. بالتأكيد!

ذهبت إلى المطعم الذي سنلتقي فيه، كان مكانًا هادئًا للغاية، ويغلب عليه الطابع الكلاسيكي وكأنني في حقبةٍ زمنية مختلفة، وأثناء تأملي للمكان لمحت جميل الوجه يجلس في أقصى اليمين ويلوح لي، فتحركتُ متجهة نحوه في ثباتٍ محاولة أن أبدو واثقة من نفسي، ومظهري، وقد فشلت تمامًا أثناء جلوسي على الطاولة عندما بدأ بالحديث قائلًا:

- أول مرة أشوفك كده، من غير نضارة ولابسة فستان ومسيبة شعرك وكعب وحركات.

حاولت جاهدة ألا أظهر ارتباكي قائلة:

- أصل... أصل انا عارفة إن المكان كلاسيك فقلت مش هينفع فيه لبسي العادي.

- أنا لو أعرف كدا كنت جبتك هنا من زمان.

شعرتُ بازدياد حرارة الجو للغاية، وكأن أحدهم قام بإشعال نيران على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد مللي مترات قليلة من وجهي، بدأ «عمر» في الضحك ثم قال:

- واضح إن بعد كل الوقت دا أنا لسه معرفكيش.

- أنا بس ما بعرفش أرد على المجاملات.

- ودي من أحلى الحاجات فيكِ، بس دي مش مجاملة، أنا بقول اللي عيني شايفاه، وانا دلوقتي شايف نفسي أكتر واحد محظوظ في الدنيا.

- ليه يعني؟

- عشان إنتِ معايا.. عزومة النهار دا لسبب عزيز عليا أوي.. من يوم ما قابلتك وانتِ وش السعد عليا ومديون لك بإن حياتي رجعت لي تاني!

- يا عمر إنت اللي رجعتني لحياتي تاني وأنقذتني حرفيًّا.

- لأ اللي أقصده إن من يوم ما عرفتك وانا مبسوط ومرتاح وبتحسن في شغلي.. وبتخلص من عقدتي في إني أقدر أنقذ اللي بحبهم عادي.

- اللي بتحبهم؟!

- زهرة.. موضوع طنط وعمو مش صدفة.. أنا طلبت إيدك منهم.. عشان بحبك ومش عايز غيرك معايا يا كوكيز.

وكأن العالم كله يرقص، وكأن الحياة فجأة أصبحت وردية كما لو أن شرور العالم، وأحزانه اندثرت، ولم يبق سوى الفرح والسعادة في هذه الدنيا.

«عمر العجمي» منحني كل شيءٍ جميل في الدنيا يوم أن أهداني قلبه،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هو لم يعالجني فقط بل أحياني من جديد، ويا لها من حياة! أود أن أعيش دهورًا فقط لأكون معه، لا يهم ماذا سيحدث غدًا أو ما ينتظرنا في المستقبل؛ ما يهمني أننا سنظل سويًا حتى النهاية.

استيقظتُ في صباح اليوم التالي وأنا في قمة نشاطي، تفقدتُ هاتفي في لهفةٍ لأجد رسالة نصية من «عمر»:

«أنا نازل المستشفى عندي عملية وهخلص وآجي لك ع الشغل.. خلي بالك من نفسك.. بحبك»

هل يعقل هذا؟ أن يحولك العشق من ميت إلى حي؟ من جسدٍ خاوٍ إلى نقيضه ينبض بالحياة؟ قد يكون حلم لكني لا أريد الاستيقاظ منه أبدًا.

وصلتُ إلى مكتبي بعد أن أفنيت عمري في الزحام المروري، وانهمكتُ في العمل بعد أن أخبرت «كنز» أن هناك شيئًا ضروريًا أريد أن أخبرها به، ولمحت على طرف مكتبي مظروفًا ورديًا مثيرًا للريبة، ومكتوب عليه إهداء:

«إلى الفتاة التي أعطت لحياتي حياة».

لم يكن الأمر يستحق التخمين، إنه «عمر» بكل تأكيد، ولكن كيف وصل إلى مكتبي؟ يا له من شابٍ يُحضِّر لكل شيءٍ بدقةٍ شديدة تروقني.

قمت بسؤال «كنز» على الفور:

- هو فيه حد حط لي حاجة ع المكتب قبل ما آجي؟

- أنا جيت قبلك على طول، اسألي رامي بيبقى هنا من بدري.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكني لم أحتَج لسؤاله لأنه رد على الفور:

- لأ محدش حط حاجة قدامي.

وفي هذه اللحظة دخلت «كارمن» للمكتب في خطوات ثابتة، وأكاد أقسم أن شحنات الفخر الذاتي الخاصة بها ترتطم بوجه كل منَّا حتى أنني تعجبت لعدم اختلال توازني من قوة هذه الشحنات، ثم نظرت إليَّ بطرف عينها وقالت في برودٍ:

- صحيح يوسف مش هيقدر يجي النهار دا، وقال إن رامي المسؤول عن تسلميات الشغل.

- هو فيه حاجة ولا إيه؟

- أصلًا إنتِ مش في الـ team بتاعنا، يعني الكلام مش متوجه لك، وصدقيني لو كان قال لي حاجة تتقال لك كنت قلت.

ورمتني بابتسامةٍ ثلجية، ثم أبعدت نظرها عني كما لو أن شيئًا لم يحدث، هذه هي «كارمن» الرقيقة الجميلة والمتعجرفة الباردة أيضًا! لم أكن في حاجةٍ لأفسد مزاجي من أجلها فيكفيني ما أمتلكه من إفسادات، حاولت الاتصال بيوسف طيلة النهار ولكن دون جدوى، وكأنه يتعمد تجاهلي كما لم يحدث من قبل.

ذهبت للكافيتريا مع كنز ورامي، ورويت لهما كل ما حدث أمس بيني وبين عمر، وأننا على وشك الارتباط بشكلٍ رسمي، وشعرتُ بالسعادة عندما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رأيت الدعم منهما على قراري هذا.

كنز:

- أخيرًا ربنا فرَّح قلبك يا بومة، وكل دا عشان أنا وديتك ليه بالعافية.

- تصدقي دي الحاجة العدلة الوحيدة اللي عملتيها لي.

رامي:

- هو أنا مليش في جو البنات دا، بس ربنا يسعدك يا زهرة.. وبعدين صح لاقيتي إيه في الظرف اللي كان محيرك الصبح ده؟

- لاقيت رسمة ليا وإهداء فيه كلام حب كده.

قالت كنز:

- أكيد عمر يعني اللي عملها وحب يفاجئك.

أومأ «رامي» موافقًا، وعدنا للعمل مرة أخرى بعد أن احتسينا بعض القهوة، اقتربت ساعات العمل من نهايتها، وإذ برسالةٍ نصية تصلني من «يوسف»: «أنا تحت الشركة، تعرفي تنزلي لي؟»

أجبته فورًا بأن ينتظرني، وأخبرت «كنز» أنني سأنصرف لأمرٍ طارئ ولم أُرِد أن أخبرها بوجود «يوسف»، لأنني أمتلك إحساسًا داخليًا أنه تسبب لها بجرحٍ ما.

خرجتُ من المبنى في قلقٍ لأجده يجلس على الرصيف، فجلست بجواره في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صمتٍ وبدأ الحديث فورًا:

- أنا مخنوق أوي يا زهرة، مش عارف الدنيا بتلطش فيا كدا ليه؟ حاجة واحدة ترفعك لسابع سما والتانية تنزلك لسابع أرض وكل دا ليه؟ عشان بتحب بجد!!

سألته في حماسٍ:

- وانت بتحب يا يوسف؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة لا إرادية وكأن محبوبته تجسدت أمام عينيه وقال:

- آه بحب، وبحب أوي كمان.

- كارمن، مش كده؟

نظر إليَّ متعجبًا ثم قال:

- عرفتي ازاي؟

- تفتكر بعد كل اللي مرينا بيه سوا يا يوسف مش هاخد بالي، من بين الناس كلها هتلاقيني مرايتك.

ضحك في ارتياحٍ قائلًا:

- ربنا يعلم بعزك قد إيه يا كلبة.

- يا أخي نص كلامك حلو والباقي قرف زي وشك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بقى كل منَّا صامت لبضعة ثوانٍ ويتأمل السماء في سكون، أردت أن أخبره عن «عمر» ولكنني لم أشعر أنه الوقت المناسب، فقررتُ أن أسأله عن «كنز».

- هو انت ليه مكلمتش كنز برضه؟

- مش عارف كنز مالها اليومين دول، متعصبة ومتنرفزة، خدت بالها مني أنا وكارمن ومن ساعتها راكبها ٥٠٠ عفريت، كأنها ما كانتش عايزاني أرتبط قبلها.. ما عندها رامي لازق فيها طول الوقت.

بدأت أستوعب الموقف نوعًا ما، فحاولت إلهاءه عنه قائلة:

- طب والمفروض اللي يحب دا يكون طاير في السما، إنت بقى مطربق الدنيا على دماغك ليه؟

- كارمن مختلفة عني تمامًا، هي جاية من دنيا وانا من دنيا تانية، وخايف دا يبعدنا عن بعض.

لم أتمكن من الرد؛ فقد عُقد لساني عند رؤيتي لسيارة «عمر» أمامي، وشعرتُ بصعقةٍ كهربائية تضرب جسدي كله عندما التقت أعيننا، لكني لم أتحرك من مكاني، فنزل من سيارته وأخذ يقترب منَّا شيئًا فشيئًا.

- أنا مش قصدي أقاطعكم طبعًا، بس استغربت من قعدتكم ع الرصيف قلت أنزل أعرض عليكم نقعد في كافيه مثلًا.

نظر «يوسف» له في جمود الجاهل بما يحدث، فتدخلت قائلة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لأ مش مستاهلة، يوسف بس كان بيحكي لي حاجة، يلّا نمشي احنا وهنكمل كلامنا بعدين.

أومأ «يوسف» موافقًا بأن الرسالة قد وصلته، لكن «عمر» أراد تأكيدها فأمسك بيدي وجذبني نحوه أثناء اتجاهنا للسيارة، وفي الطريق ظل صامتًا ثم قال فجأة:

- هو العادي بتاعكم تقعدوا في الشارع بالمنظر ده؟

- يا عمر موقف عابر يعني ودا صاحبي من زمان وكان مخنوق بس وعايز يتكلم معايا.

- ويتكلم معاكِ بتاع إيه يعني؟ هو مفيش غيرك في الدنيا؟

- إنت غيران يا عمر؟

- وهغير من إيه؟ أنا بس مستغربه والله.

- عمر... قول الحقيقة.

- قلت الحقيقة.. لأ.

صمتنا لبعض الوقت، وقررتُ أن أكسر هذا الصمت قائلة:

- شكرًا على الرسمة.. عجبتني أوي.

- رسمة إيه؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- رسمتي اللي بعتها لي النهار ده.

- الله.. أخلص من يوسف يطلع لي معجبينك اللي بيبعتوا لك رسومات كمان! دا إيه الحلاوة دي؟!

انفجرت في الضحك بعد محاولتي الفاشلة لكبتها، فقال:

- أنا بغلي وانتِ بتضحكي!

- أصل ليا حق لما عمر العجمي يغير عليا أضحك واضحك كمان.

- ما هي الضحكة دي اللي بتخلي واحد يبعت لك رسمة، والتاني يقعد جنبك ع الرصيف، ولسه يا مَا هشوف، ربنا يصبرني.

- أيوة يا عمر بس أنا بحبك إنت وبس.

قلت ما أشعر به تجاهه دون أدنى تفكير، ثم أدركت أن هذه المرة الأولى التي أنطق بها صراحةً، نظر إليَّ «عمر» وهو نصف مصدوم ونصف سعيد، وقبل أن يتفوه بكلمةٍ قلت له:

- لو نطقت بكلمة والله هعيط.

قام بهز كتفيه معبرًا أنه لم يكن ينوي ذلك، ثم ضحك كالأبله قائلًا:

- بتحبني!

***

اتصلتُ بكنز، ودعوتها لمنزلي بحجة مشاهدة فيلم كوميدي لساندرا بولوك،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمبيت الليلة معي ونذهب في الصباح للعمل سويًا، ولكن نيتي الحقيقية كانت أن أتحدث معاها بخصوص «يوسف»، وكالعادة أتت للمنزل تحمل مشروبات غازية وبيتزا المارجريتا المفضلة لكلتينا، دخلنا معًا إلى غرفتي وقمتُ بإغلاق الباب.

كعادتي دومًا أتحدث بدون مقدمات، وربما يصدم هذا بعض البشر، لكني لم أدرك السبب وراء كثرة الثرثرة الفارغة بينما يمكننا أن نحصل على المعلومة التي نريدها مباشرة.

- ما قلتليش بقى، واخدة موقف من يوسف ليه؟

بدا على «كنز» التوتر الشديد حتى أن توازنها كاد يختل، فجلسْت على مقعد مكتبي بينما جلستُ أنا على السرير وأرميها ببعض نظرات الفضول لتتحدث بسرعة.

بدا عليها الحزن الذي أراه على وجه صديقتي لأول مرة، وقالت بانكسارٍ لم أعهده عليها من قبل:

- المفروض إني أقول لك إيه يا زهرة؟ لما تبقي أقرب واحدة ليا ومفهمتيش لوحدك هيفيد بإيه؟!

- لو مفهمتش لوحدي.. تساعديني إني أفهم يا كنز! أنا بني آدمة في الأول والآخر مش ساحرة.

- عارفة يوسف في مرة سألني أنا ليه صاحبتك أوي كدا رغم إنك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شخصية مش سهلة في التعامل... وأوقات كتير مبتاخديش بالك غير من نفسك، ملقتش رد غير إني بحبك وبس.

عليَّ الاعتراف أنها على حق فيما قالته، وعليَّ أيضًا أن أجد لها أسبابًا لصداقتنا:

- بس أنا عندي أسبابي اللي أقدر أرد بيها على السؤال ده.

نظرت إليَّ في لهفةٍ للسماع، فأشرتُ إليها أن تأتي بجواري، ولأول مرةٍ أشعر أنني أمًا «لكنز» ولست صديقتها!

- يمكن عشان عرفتي عني كل حاجة ولسه بتحبيني، شفتي كل عيوبي ومهربتيش، اختارتي تفضلي موجودة رغم أنانيتي، ورغم عقدي ووجعي وقفتي جنبي، وعشان كل مرة كنت بحس إنها النهاية بتعرفيني إنها البداية مش أكتر، عشان إنتِ كنزي اللي طلعت بيه.

بدأتْ «كنز» في البكاء ولكني لم أوقفها لأنني أعلم أنها ستتحدث الآن، وبعد بضع ثوانٍ بدأت بالإفصاح عما بداخلها قائلة:

- أنا أعرف يوسف من ست سنين يا زهرة، ومفيش يوم عدى عليا وأنا أعرفه ما كنتش بحبه.. وعشان جسمي وشكلي هو عمره ما فكر فيا، عشت عمر كامل بعمل له كل حاجة تقول إني بحبه، بس هو عمره ما خد باله، عايزاني لما أشوفه بيهد كل دا عليا وبيدي قلبه بكل سهولة لواحدة زي «كارمن» لمجرد إنها حلوة وجسمها حلو.. أتعامل عادي؟ أفرح له وأبارك له، ولا بالمرة أروح أخطبها له بقى؟! تعبت يا زهرة.. تعبت من كتر الذل

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ده.. محتاجة أبعد وأريح دماغي شوية.

لم أستطع إيجاد كلماتٍ مناسبة لمواساة صديقتي المقربة، فقمت باحتضانها وقلت:

- اهدي بس وكل حاجة هتعدي.

خلدت «كنز» إلى النوم بعد أن شاهدنا الفيلم سويًا، وأنا أمضيت ليلتي أفكر في حب «كنز» لـ «يوسف»، كيف يتمكن الشخص في فناء حياته على أملٍ غير موجود؟ وكيف يتقبل فكرة أنه من الممكن أن يكتم ما بداخله للأبد؟ وأن عليه أن يكون ممثلًا باردًا لكي لا يظهر علي وجهه ما يشعر به؟ يُظهر السعادة في حين يشعر بالأسى، يضحك حين يرغب بالبكاء، وكل هذا من أجل شخصٍ يعتبر كل ما يُعطى له هو حق مكتسب، ولا يتوقف لدقائق كي يفكر لَمَ يتكبد كل هذا العناء من أجله؟

يُحكى أن حب الطرف الواحد ما هو إلا قصة ظلم وعذاب جديدة لكن بمساعدة المظلوم للظالم، فالأول ظالم لنفسه واختار أن يجلد نفسه كل دقيقة بملازمة هذا الشخص، والآخر طاغي بأن تقبَّل ما يحدث وكأنه لا ذنب له، فإما أن تسمح لهذا الحب المتسلط بقتلك أو تقتل قلبك بيدك لتحيا مجددًا من رماده.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دائرة الألم

تتمزق

أوتار قلبي

ويزداد ثُقل الحياة

ويصعب المُضي قدمًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحيط

كأنه ميلاد جديد

ومن الناس من نتوقع منه حسن المعاملة فيهينك، ومنهم من لا تنتظر منه شيئًا فيصونك!

اليوم مضى خمسة وعشرون ربيعًا من عمري، ولأول مرةٍ أشعر بأنني مقبلة على الحياة ولا أكرهها، لم أتمكن من معرفة روعة الحياة بصحبة الأصدقاء، والحب من قبل، لكني تذوقتها كما يجب أن تكون، بل وأدمنتها أيضًا! وكل هذا أدين به «لكنز»، فلولاها ما تعرفت على «يوسف» صديقي المقرب و«رامي»... ولولا اهتمامها بمرضي ما تعرفت على «عمر»، ولولاها ما تشجعت لكي أواجه الحياة يومًا، والأهم ما تشجعت لمواجهة نفسي بعيوبي أبدًا، فإذا كان هناك شخص ما يستحق الشكر بعد جدتي هي «كنز» لما تركته من أثرٍ خفيف على قلبي.. تسعدني ولا تبكيني أبدًا، ولهذا قررتُ أن أتحدث مع «يوسف» بخصوصها اليوم.. لم أرتب أي شيء لكني أعلم أنني أريد التوصل لحلٍ من أجل راحتها حتى ولو بشكلٍ جزئي.

ارتديتُ ثيابي مسرعة فقد تأخرت على موعد الاجتماع الشهري للشركة، وأثناء خروجي من باب المنزل أوقفني «رحيم» قائلًا:

- كوكيز.. كل سنة وانتِ طيبة.

التفتُ إليه لأجده يحمل صندوق هدايا في يده وينظر إليَّ وعيناه تلمعان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كاللؤلؤ، ركضتُ إليه وقمت باحتضانه كما لو أنه قطعة هاربة مني، ثم قلت:

- صاحي بدري وجايب هدية وعامل لي جو رومانسي.. وكل دا وعندك ست سنين! دا انت لما تكبر هتجنن البنات عليك.

- زي ما انتِ مجننة الولاد كده.

قمت بصفعه برفقٍ على وجهه وقلت:

- عيب يا رورو.

- يويو.. أنا مسميش يويو.. وخدي هديتك.. دي تحويشة العيدية.

- لدغتك دي اللي مصبراني عليك.

التقطت منه الصندوق وقمت بفتحه بحماسٍ فهذه المرة الأولى التي يحضر «رحيم» هدية لي خصيصًا، وإذ بي أجد سلسلة فضية مطبوع عليها صورتي وأنا أحتضن «رحيم» وكأنه ألماستي الغالية التي لا أريد أحدًا أن يقترب منها، فقمت بارتدائها على الفور وقلت له:

- دي أحلى هدية في العالم.

منذ اللحظة الأولى التي ولد فيها «رحيم» وأنا تحولت لأمه وليس أخته، أقوم بإعداد الطعام له، وفي أحيانٍ كثيرة آخذه للمدرسة وأسهر بجانبه وهو متعب، لهذا دائمًا أعتبر أخي هو أول ابن لي.

خرجتُ من المنزل في عجلةٍ من أمري، وبداخلي إحساس الرضا الشديد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن النفس وكأنني عدت للحياة منذ لحظات، وقاطع هذا السلام الداخلي صوت سيارةٍ مزعج، التفتُ لأجده «عمر» يشير إليَّ لأركب معه، وكالطفلةِ الصغيرة ركضتُ مسرعة إليه، فقد مر أسبوعان بدون رؤية وجهه الجميل الذي زينه بلحيةٍ جذابة لأول مرةٍ وكأنها هدية عيد ميلادي على الأرجح!

- صباح الخير.

- صباح النورع البنور، يجعل صباحك هنا وسرور لما...

قاطعني قائلًا:

- يعني تصحيني من النوم ع النشيد ده!

- بقالك إسبوعين مسافر في مؤتمرك دا ومش عارفة أصحيك، إديني فرصتي شوية، وبعدين راجع لي لابس حلو ومربي لي دقن، فاضل إيه بقى يا بيه ها؟ ناقص تطلّع لي ناتاشا من شنطة العربية وتقول لي مراتي الجديدة.

- والله حاولت بس محدش رضي بيا غيرك.

أمسكتُ بخده الأيمن كالكابوريا التي تقوم بالاصطياد بيدها التي تشبه المقصات، وقلت بفخرٍ:

- عشان مفيش حد غيري يعرفك بجد يا قطة.

- قطة؟! أنا راضي ذمتك دا شكل قطة؟ وبعدين القطة دي ممكن متخليكيش تمامي النهار ده.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لأ إنت طيب مش هتسلط عفريتك عليَّا.

- لأ مش طيب، وفعلًا مش هخليكي تمامي، أنا عندي إجازة يومين وفاضي لجنابك.. هتروحي الشغل النهار دا وتاخدي إجازة عشان هنحتفل بعيد ميلادك.

Telegram:@mbooks90

- ما نحتفل بعد الشغل.

- لأ عشان هنروح مكان انتِ بتحبيه جدًّا.

- هنروح فين؟

- إسكندرية.. مش من يوم ما عرفتك بتقولي لي مبحبش غيرها ونفسي أعيش فيها؟ هنروحها سوا أهو.

لم أستطع تصديق ما قاله وأصبت بالذهول، فأكمل حديثه:

- لأ متموتيش دلوقتي ردي عليَّا.

- لأ أصل مش مصدقة، هتوديني إسكندرية بجد؟

- أيوة، وهنقعد ع البحر اليوم كله.

في هذه الأثناء كنا قد وصلنا إلى الشركة، فقام «عمر» بتوديعي قائلًا:

- مش هاقول كل سنة وانتِ طيبة دلوقتي.. ميعادنا بكرة يا برج الجوزاء!

- ما نبطل شتيمة بقى يا عمر، إنت دايمًا ظالمني كده!!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أنا بقول واقع، إنتِ جوزاء يا زهرتي، ساعة تروح وساعة تيجي.

تظاهرت بالضيق فابتسم قائلًا:

- يلَّا انزلي وانبسطي مع أصحابك يا حلوة.

نزلت مسرعة وبداخلي طاقة إيجابية كبيرة في انتظار الغد القريب.

***

دخلت إلى المكتب لأجد الجميع يصيح بوجهي كالمجانين: «كل سنة وانتِ طيبة».

«كنز» و«رامي».. «منال» و«نوران».. «حازم» وحتى مديري الذي لا يظهر أبدًا «حسام معاطي»، لكن أين «يوسف»؟

تظاهرت بالسعادة الغامرة أثناء تهنئة الجميع لي، وأعرب مديري عن سعادته البالغة باجتهادي في العمل قائلًا:

- زهرة، إنتِ ليكي مستقبل كبير وانا قلت دا ليوسف قبل كده، ومبيعاتنا زادت بعد ما بدأتي تصممي الغلاف.. اتضح فعلًا إنك كتلة من إبداع.

ثم أشار بالذهاب جانبًا ليتحدث معي على انفراد، وأستطيع استشعار عيون زملائي تخترقنا وآذانهم تتحول إلى مطاط كي يستطيعوا التلصص واستراق السمع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أكمل قائلًا:

- إحنا بنفكر في ترقيتك.. تبقي مديرة قسم التصاميم وتختاري بنفسك فريق العمل بتاعك.

- بس يا افندم أعتقد «يوسف» أحق مني بالترقية دي، وهو بيفهم في التصاميم والتسويق.

- يوسف هيمشي كمان شهر، معروض عليه يكون مدير في شركة منافسة، وهيروح وهنرقي رامي مكانه.. إنما إنتِ مكانك في واجهة الشركة معانا، وضمن صناع القرار ليها.

- دي حاجة تسعدني جدًّا يا افندم.

ابتسم قائلًا:

- هايل، كدا من أول الشهر هنعلن الترقيات الجديدة.

ثم قام برفع صوته ليسمع بقية الزملاء الذين قاموا بشغل أنفسهم فجأة حتى لا يظهر عليهم أنهم كانوا يتجسسون علينا.

- طيب، أسيبكوا لاحتفالكم بس متنسوش شغلكوا طبعًا.

ثم غادر المكتب ليتركني مع حديث ثلاثي أضواء المكتب «منال ونوران وحازم» ووظيفتهم الوحيدة هي إشعال النيران في النفوس.

- صح يا حازم متعرفش ليه يوسف اختفى فجأة؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- مش عارف يا نوران جايز منال تعرف.

- آه، كارمن ما كانتش مهتمة باللي بيحصل في المكتب وخدته برة لحد ما نخلَّص.

أهذا حقيقي؟ هل تخلى «يوسف» عن صداقتنا؟! بعد كل ما مررنا به سويًا يتركني وحيدة في يومٍ كهذا؟!

أعتقد أن مجرد التفكير في هذا الاحتمال أصاب قلبي بألمٍ شديد لم أشعر به منذ فترة، ثم زاد الألم عندما دخل «يوسف» بصحبة « كارمن» التي قالت في تباهي:

- أخيرًا الدوشة خلصت!

و «يوسف» حتى لم ينظر إليَّ بل جلس على مكتبه وبدأ في العمل فورًا!

همست « كنز» قائلة:

- لما الكلب يلاقي اللي يعبره بيتهطل وبينسى أهله وناسه.. ما تزعليش نفسك.

ثم قامت بتمرير صندوق فضي صغير إلى مكتبي قائلة:

- دي هديتي أنا ورامي.. إحنا جنبك ومش هنسيبك أبدًا.

نظرتُ إلى «رامي» لأجده ينظر إليَّ في حنانٍ ليؤكد ما قالته.

كان صندوقًا فضيًا لامعًا نُقش عليه اسمي، قمت بفتحه لأجد صورتنا معًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بداخله، وخاتمًا صغيرًا مكتوبًا عليه الحروف الأولى من أسمائنا الثلاثة.

همس «رامي» قائلًا:

- معلش دا نص الشهر والعيشة صعبة.

- دي أغلى هدية جت لي يا رامي متقولش كده.

وقمتُ بارتداء الخاتم في يدي اليسرى وحاولت أن أجعله عزائي الوحيد، ربما خسرت «يوسف» للأبد ولكني قد كسبت من يعوضني عنه في كل وقت، وربما لم تكن خسارةً حقيقية؛ فليس كل من يرحل يريد الرحيل حقًا، لكن دوره انتهى في حياتي بعد أن كان هو كل حياتي.

***

استيقظتُ على صوت هاتفي كالعادة وقمت بالرد في كسلٍ دون النظر لمن هو المتصل.

- ألو.

- كنت عارف إنك لسة نايمة، زهرة أنا تحت البيت وورانا سفر.. فوقي.

نهضت مفزوعة، يا إلهي كيف لي أن أنسى؟!

- أنا عشر دقايق بس وهنزل لك.

وكعادة أية فتاة في العالم، العشر دقائق تعني ساعة على الأقل، فقد كنت أمامه بعد مرور ساعة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- صباح الخير.

أجاب في ضجرٍ:

- صباح الزفت! ساعة ونص يا زهرة؟! لولا إنه عيد ميلادك كنت مشيت.

- لأ ما تقدرش تمشي، مش ههون عليك.

- يا رب ربع برودك وثقتك في نفسك دي! يلّا اركبي.

لا أذكر الكثير من رحلتنا إلى الإسكندرية، لكن أتذكر الطمأنينة التي شعرت بها وجعلتني أغفو فور انطلاقنا لأستيقظ على صوت «عمر» الدافئ.

- زهرة، اصحي يا حبيبتي وصلنا.

فتحت عيناي ببطءٍ لأجد ضوء الشمس يداعب كلتاهما، وأمامي البحر مباشرة، وكأني في بقعةٍ من الجنة! اللون الفيروزي، ورائحة البحر، شوارع الإسكندرية المليئة بالدفئ والذكريات، وكأن كل شخصٍ بالعالم لديه ذكرى مُعلقة هنا تروي أجمل أيام شبابه، وربما شيخوخته، كوبري استانلي الذي لطالما وقفت أنظر إلى البحر وأشكو همومي له، فقد كان صديقي الوحيد لسنواتٍ طويلة من عمري، و«سان ستيفانو « الذي كلما مررت به شعرت بأنني مررتُ ببقعةٍ من بقاع أوروبا، ستظل الإسكندرية المكان المحبب لقلبي، وأعلم أنني يومًا ما سأعيش بقية حياتي هنا بعيدًا عن صخب الدنيا وتلوثها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الجميلة سرحانة في إيه؟

- بفكر إني عايزة أعيش هنا في يوم من الأيام.

- أنا عارف بس موعدكيش عشان شغلي كله في القاهرة، بس نقدر نيجي في أي وقت.

وصلنا إلى شاطئ خاص بشارع «لوران» لأكتشف أن «عمر» قد حضَّر حفل عيد ميلادي كحفل شواءٍ خاص لكلانا فقط، فبدا لي الأمر كأنني في الجنة، وكم أتمنى أن أمضي بقية عمري برفقته هنا.

انتهينا من الشواء، وقبل أن نتناول الطعام أمسك «عمر» يدي وقال:

- أنا عارف إن خطوبتنا اتأخرت، بس زي ما انتِ عارفة كنت مستني موافقة بابا، وامبارح هو كلمني وبارك لنا.

وقام بإخراج خاتم ألماسي يشبه خواتم الزواج التي نراها في الأفلام، ثم أمسك بيدي وألبسني الخاتم، ثم قال:

- ملقتش أنسب من يوم عيد ميلادك والجو دا يبقى خطوبتنا.

كان قلبي يرقص كالمجنون، ولكني تذكرت عائلتي فقلت:

- وماما وبابا.. هنتخطب كدا من غيرهم؟

ضحك «عمر» ثم قال:

- إنتِ بجد دا همك؟! طيب يا ستي، أنا قلت لهمَ وهما وافقوا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظرتُ إليه في دهشةٍ قائلة:

- إنت إزاي بتعرف تسيطرع الناس وتضحك عليهم كده؟

- ليا طريقتي وإلا ما كنتش ضحكت عليكِ وخليتك توافقي تتجوزيني.

نظرت إليه وأنا عاجزة عن الكلام تقريبًا ودموعي تنهمر فرحًا لأول مرة في حياتي، لم أستطع التعبير عن طاقة الامتنان التي انفجرت داخلي، أنا حقًّا ممنونة لـ»عمر»، ممنونة لما يفعله من أجل إسعادي ولوجوده الذي لا ينتهي، حتى وإن انتهينا سأظل ممنونة له لأنه جعلني أدرك قيمة نفسي، وهي أغلى هدية يمكن أن تُهدى، من يحبك بصدق سيعيطيك كل ما يملك فقط ليرى ابتسامة رضا منك.. فقط ليطمئن أنك جزء من غده وحاضره.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المركز

القدر

استمرت حياتي بشكلٍ روتيني ممل، والمدهش أنني أحببت هذا الملل بوجود «عمر»، والحقيقة أنني اكتفيت به، وبترقيتي للمنصب الجديد، وانشغلتُ ما بين اختياري للموظفين الأنسب في فريق عملي الخاص، ومقابلتي اليومية لـ«عمر» والمهمة اليومية الجديدة، واصطحاب «رحيم» للمدرسة وأخذه منها؛ فقد أوكلت أمي هذه المهمة لي منذ أن اشتريت سيارة بمكافأة الترقية، وهكذا مضت الأيام بشكلها المعتاد، تارة أشتاق لقلة المسؤولية بحياتي، وتارة أشتاق للحديث مع أصدقائي والاجتماع بهم؛ فالعمل والارتباط سيطرا على وقتي كله إلى أن جاء عيد ميلاد «يوسف» الذي بعد عن الشركة وعن حياتي وأصبح كل شيءٍ باردًا من بعده، سمعت أن أموره تسير على ما يرام في منصبه الجديد، وسيعلن خطوبته بـ«كارمن» قريبًا، وأخبرني «رامي» أن «يوسف» اتصل لتهنئته بمنصبه الجديد، لكنه حتى لم يفكر في تهنئتي! اتخذتُ قرارًا جنونيًا على غير عادتي أن أترك مكتبي الفخم وأذهب إليه في مقر عمله قبل أن يأتي موعد خروج «رحيم» من المدرسة، وقبل أن أفر هاربة من الشركة دخل الأستاذ «حسام» ليخرب كل مخططاتي قائلًا:

- الحمد لله إنك فاضية يا زهرة.

- خير يا مستر حسام؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- بصي يا ستي، بعت لك ع الإيميل التصورات الأولى للعدد الجديد بتاعنا وعايزك تشوفي التعديلات اللي شايفة إنها لازم تتعمل ونتناقش فيها في الاجتماع بكرة.

- تمام يا افندم، بس كنت بلغتني ع التليفون، مكنش لازم تتعب نفسك.

- لأ طبعًا، لازم آجي لأن الموضوع ضروري، واهو بالمرة أشوف مديرتنا المجتهدة.

حاولت الابتسام رغمًا عني، وأعتقد أن شكلي بدا مخيفًا للحد الذي دفعه للانصراف قائلًا:

- طيب، أسيبك لشغلك بقى.

ليتركني في تساؤلاتٍ مستمرة.. هل الحياة تستحق هذا العناء؟ نولد لنتعلم، ثم نصبح من حاملي الشهادة وكأنها دليل على الثقافة، والحقيقة أنها ما هي إلا ورقة بالية لا قيمة لها، ومن ثم نقضي أجمل لحظات عمرنا وراء مكتب حتى سن المعاش الذي تقول لنا الدولة بعده، إليكم مال طعامكم وشرابكم حتى يتوفاكم الله.. هل هذه هي الحياة فعلًا؟ أم أنه تم خداعنا وخداع أجيال سابقة بأن السبيل الوحيد للعيش هو المال الذي يأتي من هذه المهام السابقة؟ ما أعرفه أنه لا قيمة لكل هذا بدون الاستمتاع بما نفعله.. بدون أن يكون لنا غاية من هذا الشقاء والعذاب كي نستطيع تحمله حقًّا.. كي يصبح الحرمان والإرهاق الذي نعانيه ذا مغزى، وحينها فقط تصبح مقولة فرويد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صحيحة: «عندما تستعيد ذكرياتك في يوم من الأيام، يفاجئك أن سنوات المشقة كانت أجمل سنواتك.

فإن كان ما تفعله هو شغفك فهنيئًا لك؛ أنت تعيش كما ينبغي، وإن لم يكن فعليك إعادة النظر، ولهذا اتخذت القرار بترك هذا العمل للغد والذهاب فورًا إلى «يوسف»، أردت أن أضع حدًا لهذه النهاية المفتوحة، أريد معرفة إن كان يكرهني لشيءٍ صدر مني أم هو قراره؟ وكالعادة حظي المشرق يلاحقني، فقد وجدت إطار السيارة فارغًا من الهواء، وكأن العالم يتحداني حتى أتراجع عن قرار الذهاب ليوسف!

ولكني تحديته أيضًا واستقليت سيارة أجرة إلى مكان عمله، وفور دخولي إلى المبنى رأيته أمامي وكأنه يعرف... وكأنه ينتظر، فعندما التقت عيناي بعينيه لم يتفاجأ أبدًا، وترك الموظفين الملتفين حوله وأتى إليَّ مسرعًا.

- زهرة، إزيك؟

- مبروك الشغل.

- الله يبارك فيكِ.

صمت لبرهة من الزمن وبدأتُ أعاتب نفسي على هذا التصرف غير المدروس، ماذا حدث لي؟ أتيت لـ «يوسف» بعد كل ما حدث! لقد تخلى بدون سابق إنذار! وقبل أن أُكمل تساؤلاتي قاطع «يوسف» تفكيري قائلًا:

- الساعة جت اتنين، أنا كنت همشي دلوقتي، فبما إنك هنا تعالي نروح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أي كافيه ونتكلم.

أُصبت بالهلع قائلة:

- اتنين؟! أنا لازم أروح آخذ رحيم من المدرسة.. وعربيتي عجلها نايم وجاية بتاكسي و...

قاطعني بسرعة:

- زهرة.. اهدي! أصلًا رحيم مدرسته قريبة من شركتي.. ساعات بروح وأقابله، تعالي نروح له ونتغدى احنا التلاتة سوا.

أومأت بالموافقة ومشيت بجانبه مسلوبة الإرادة ولم أحتج أن أسأله عن سبب زيارته لأخي فهما يحبان بعضهما كثيرًا، لم نتحدث سويًا طوال الطريق للمدرسة وكأننا نتعاتب بالصمت ليقتل كل منا الآخر.

وصلنا للمدرسة لأجد «رحيم» في انتظاري، وعندما رآني ركض مسرعًا نحوي ليستقر بين ذراعيَّ المرحبين به دائمًا.

- وحشتيني يا زوزي.

- بس يا لمض.

نظر «رحيم» لـ«يوسف» وقد لمعت عيناه فرحًا:

- بقيتوا بتكلموا بعض تاني؟

ضحك «يوسف» في توترٍ ثم قال:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وهنتغدى سوا النهار دا كمان يا بطل.

أمسك «رحيم» بيدي لنتحرك معلنًا موافقته على خطة «يوسف».

- المطعم قريب من هنا أوي، يعني شارعين من هنا.. المهم بس امسكي رحيم كويس لأن فيه شارع منهم سريع وهنقف في إشارة وكده.

ثم صمت لبرهةٍ وقال:

- عمر عارف إنك جيالي؟

- لأ ملحقتش أقول له، أنا أخدت القرار دا فجأة أساسًا.. كنت عايزة أشوفك.

- خير فيه حاجة ولا إيه؟

- النهار دا عيد ميلادك.. وانا مش زيك هسيبك فيه لوحدك.

- أنا ما سبتكيش يا زهرة، بس هي الظروف كده.

- أكيد طلب كارمن وانا مقدرة، بس كان المفروض تفهمني على الأقل.

وصلنا لإشارة مرور المشاه وكان علينا أن ننتظر حتى تصبح حمراء، فتركت يد «رحيم» ونظرت لعيني «يوسف» الذي أجابني قائلًا:

- لو كان طلب كارمن كنت هرفض.

قلت في سخريةٍ:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أومال طلب مين؟! طلبي أنا وانا مش واخدة بالي؟

بدا عليه الحيرة الشديدة لبضع ثوانٍ ثم قال:

- لأ، طلب عمر.

- عمر!!!

الصدمة جعلتني أفقد التوازن نسبيًا، فتحرك نظري بعيدًا عن «يوسف» لأرى «رحيم» يركض إلى الطريق السريع، ولمحت بطرف عيني عربة نقلٍ آتية بأقصى سرعة، لم أشعر بما أفعله وقتها، كل ما شعرت به هو اصطدام رأسي بالأسفلت وأخي داخل أحضاني حيٌ يرزق، وأنا ما زلت على قيد الحياة.. وآخر شيءٍ سمعته هو «يوسف» يصرخ باسمي كالمجنون، ثم بدأ كل شيءٍ يبهت تدريجيًا حتى اختفى.

***

لم أستطع النجاة بكلانا، فقد دُهست ساقي اليسرى تحت الإطارات الجامحة لتكون كبش الفداء!!

لم يكن إنقاذي لأخي بدافع البطولة وإن كنت أحب وصف الناس للحادث بهذا الشكل، ولكن هذه عادة البشر يحبون الأشياء السامية فقط ليس إلا، حتى وإن كانوا أحط البشر قدرًا سيجعلون أفعالهم تبدو مثالية، فتاجر المخدرات مثلًا لا يُسمي نفسه بائع السم بل يدَّعي أنه تاجر السعادة!

ولكن مواجهة البشر بكينونتهم لم يكن اختصاصي يومًا، بل كل ما أريده

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن أقع في فخ المرآة الكاذبة مثلهم، والحقيقة أن ما فعلته كان أنانية بحتة!

لم يكن قلبي ليتحمل صدمة خسارة أخرى، ولم يصمت عقلي عن تأنيبي إن تركته يلقي حتفه، كان هذا لأنه ليس أمامي أي خيارٍ آخر سوى الاندفاع لأتمكن من الغفران لنفسي ولإهمالي إن لم أنقذه أو أموت عوضًا عنه.. لست بطلة خارقة، ودور المنقذ لا يناسبني، بل أنا مجرد بشر! ربما إن كنت أنقذته حقًا لأنقذت نفسي مما أصبحت عليه الآن.. نصف إنسانة ونفس آلة!!

فقد أنفق أبي كل ثروته لشراء طرف صناعي إلكتروني لابنته العاجزة حتى تمضي بقية حياتها في كذبة كبيرة وكأن شيئًا لم يتغير!

فاجأني الجميع بكونهم إلى جانبي ولم يفارقوني «كنز»، «رامي» وحتى الشخص الذي لا أذكر حقًا متى عدنا أصدقاء من جديد؛ «يوسف» بعد أن انفصل عن «كارمن» التي اتهمته بحبه لي لأنه اختار البقاء في المشفى إلى جانبي، أما «عمر» فقد اختفى تمامًا وكأنه مجرد سراب.. حاولت الاتصال به، ولكن هاتفه مغلق بشكل مستمر، وعند سؤالي عنه كل ما أجده من إجابةٍ هو أنه جاء في زيارة، وكنت نائمة بتأثير الدواء، وكأن النوم يتآمر عليَّ حتى لا أرى أكثر شخصٍ أحتاجه في هذه اللحظات.

فوجئت أيضًا باتصال مديري المباشر «حسام» وكان يسأل عن أحوالي وأخبرني أن الشركة منحتني إجازة مفتوحة كدلالةٍ أن مسيرتي المهنية قد انتهت في هذا المكان، ولكنه شعر بالخجل من إخباري هذا الأمر بشكلٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مباشر، والحقيقة أنني لم أهتم كثيرًا، فكل ما يشغلني هو «عمر» الذي استمر اختفاؤه إلى أن طرق بابي الممرض ذات مساءٍ أثناء جلوسي مع «كنز» حاملًا باقة من الورود وظرفًا بداخله رسالة وقام بتسليمي إياهما وخرج فورًا.

- افتحي كدا نشوف مين اللي بعت لك يا ست زهرة.

قمت بفتح الرسالة في توترٍ وكأنني أعلم ما يوجد بداخلها، ثم بدأت القراءة.

«حبيبتي الوحيدة زهرة، مش عارف قالوا لك ولا لأ بس أنا جيت لك المستشفى واطمنت عليكِ وانتِ نايمة، وكان نفسي آجي تاني بس اضطريت أسافر سفر طويل لبابا لأنه تعبان، ومخبيش عليكِ ناوي أستقر عنده في النمسا، وعارف كويس إن في ظل الظروف الجديدة هيبقى صعب عليكِ تسافري معايا، عشان كدا أنا بقول لك سامحيني يا زهرة، كان نفسي أفضل موجود دايمًا، بس واضح إن الحياة مش عايزة كده! دلوقتي عندك وقت وفرصة جديدة عشان تعيشي في إسكندرية زي ما بتحلمي.. يا رب أسمع عنك كل خير يا زهرة.

حبيبك عمر»

يبدو أن الصدمة ظهرت على وجهي وجعلت «كنز» تتساءل:

- زهرة فيه إيه؟

انفجرتُ في الضحك قائلةً:

- عمر سابني برسالة.. عمر سابني برسالة!!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استمريتُ في الضحك دون انقطاع حتى آلمتني أمعائي، ثم انقلب الضحك إلى دموعٍ كثيرة و«كنز» ممسكة بيدي وتجهل تمامًا بما يجب أن تفعله في هذه اللحظة، حتى بدأتُ في الصراخ الذي أجهل من أين أتى وكيف سأوقفه، لكنه استدعى كل أطباء المستشفى، وأحدهم قام بغرس إبرة بذراعي، فبدأت أشعر بالثقل وغبت عن الوعي تدريجيًا كمن يغوص في النوم بعد ليلةٍ شاقة.

***

ما يؤلمنا عند التعلق ليس مكانة الشخص، وإنما ما توقعناه منه! كل المغامرات الرائعة التي خططنا لها ولم تحدث، كل الكلمات التي توقعنا سماعها ولم تُقال، كل الأفعال التي رسمناها ولم تُنفذ، المكانة الزائفة التي وضعنا أنفسنا بها ولم نصل إليها.

ربما لأننا ننسى حقيقة الاختلاف، ونعتبر كل من بالقرب منا يشبهنا إن لم يكن نسخة طبق الأصل، ربما علينا أن نتعايش مع حقيقة البشر واحتمالية أن من سنحبه ونضعه في أعلى مكانة لن يحارب من أجلنا، وربما سيقابلنا بمكانةِ أسفل السافلين.. ولكن كما اعتدنا الحياة دومًا تصفعنا صفعات لنستفيق ونتعلم ونستعد لما هو قادم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دائرة النضج

به نودع حياة

ونستقبل أخرى،

هذا النضج دائمًا ما يفاجئك!

فعلى الرغم من حزنه، فهو جالب للسعادة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحيط

احتراق

العجز سيجعلك تنظر للعالم بنظاراتٍ سوداء، سترى الضحكة باهتة والحب شفقة والاهتمام زائف، ستتغير الدنيا بعينيك تدريجيًا دون أن تدرى وحينها لن تعرف نفسك كما عهدتها من قبل.

نعم، أنقذت أخي من الموت، ولكن الثمن سيخصم من كل يومٍ في حياتي، من خسارتي لمستقبلي، ولحبيبي، وعملي، من نظرات العطف التي ينظرها لي المارة كل يوم، الرفض الذي سأواجهه في كل خطوة، من حقيقة الوحدة التي أصبحت حتمية، فلا أحد يريد صاحبة الساق الحديدية كشريكةٍ لحياته.

تعرضتُ لانهيارٍ عصبي بعد أن انقلبت حياتي رأسًا على عقب، ولكن في حقيقة الأمر هذا جعلني أدرك أن جميع البشر سطحيون ويتمتعون بضحالةٍ في تفكيرهم؛ فإنك إذا نظرت للبشر كافة ستجد العجز لكن بدرجات، فمنهم من يحمل العجز في عقله فيخرج للناس بآراءٍ مسممة، ومنهم من يحمله في قلبه فيكون أول الظالمين لنفسه، ومنهم من اختار أن يدمن العجز ليكون سبب موته، وهناك من يحمله فوق كتفيه ليظل حمله هو شماعة فشله، هذا هو عجز جوهرهم، فدومًا ما يجدون سبيلًا للتجمل.. وإن نظرت بعين الحقيقة ستعرف أن عجزنا ليس بعجز؛ وإنما تحدٍ يعطي للحياة معنى، وجمالهم ليس بجمالٍ؛ وإنما تمثال أجوف خالٍ من الحياة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مضى على وجودي بالمستشفى أكثر من شهرين لأنني لم أسترد القدرة على النطق بعد ترك «عمر» لي، ما كان يؤلمني حقًّا هو شعوري الدائم بأن حياة الجميع تسير وحياتي أنا قد توقفت للأبد! احترق كل شيءٍ أمام عينيَّ ولم أستطع إنقاذه، لا أعلم إن كنت سأستطيع البدء من جديد، يُقال أن الإحساس بالفشل هو أول طريق النجاح، لكن إذا امتزج بالعجز سيكون أول طريق اليأس.

جلست أمام نافذة غرفتي -أو سجني- بالمشفى أراقب المرضى مسلوبي الأرواح، وهم يتظاهرون باستنشاق الهواء في حديقة المستشفى التي تشبه المقابر!

وعن طريق انعكاس النافذة رأيت الممرضة تدخل وبصحبتها «رامي»
Telegram:@mbooks90
وهو يحمل باقةً من الزهور، وتهمس بشيءٍ غير مفهوم وتخرج تاركة «رامي» يقف في توتر، لم أهتم كثيرًا بمجيئه، وعدت لمتابعة الأموات مرة أخرى وأنا أفكر جديًا في الطرق المناسبة للانتحار، فربما يمكنني أن أكون صديقة الموتى؛ ومهما حاولت أن أطرد هذه الأفكار ستظل تلاحقني.. ربما عليَّ أن أقوم بقطع شراييني طويلًا لينتهي كل شيء، وأكون بصحبة جدتي من جديد، ولن أشعر بألم بتر قدمي مرة أخرى، ولن أكون عبئًا على عائلتي بعدها، بل سأرحل في هدوء.

- مالك يا زهرة؟ بتبصي على إيدك كدا ليه؟ فيه حاجة وجعاكي فيها؟

أدركتُ أنني كنتُ أحدق في عروق يدي أكثر من اللازم مما أثار ريبة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«رامي» وجعله يتساءل، لكني سرعان ما أنهيت ريبته وحركت رأسي يميناً ويساراً لأطمئنه، ومن ثم جلست على الكرسي وعدت لتأمل جمال فكرة إنهاء حياتي، لكن «رامي» بدأ في التحدث من جديد، وبدأ في إزعاجي أيضًا، فقد كان صوته مرتفعًا عن المألوف ويتردد في كل زوايا عقلي.

- إنتِ ما تعرفيش الوقت من غيرك بيعدي إزاي يا زهرة.. أنا جبت لك نوع الورد اللي بتحبيه.. أهو على السرير.

وأشار بيده على السرير ولكني لم أهتم حقًا بالنظر، جلس أمامي مباشرة وأكمل حديثه المزعج قائلًا:

- عيلتك وافقت إني آجي أزورك بعد عذاب.. وعلى فكرة رحت عندكم البيت وشفت كل رسوماتك يا زهرة.. تعرفي إن دا مشروع معرض هايل؟ ممكن تعمليه مع جمعية للقدرات الخاصة وتبقي مصدر إلهام للناس كلها.

صمت بعدها للحظاتٍ وكأنه يعرف ما يدور برأسي فأكمل قائلًا:

- أنا عارف إن في الوقت دا هتردي وتقولي لي لما أبقى مصدر إلهام لنفسي الأول.. بس عارفة إنتِ كنتِ وهتفضلي مصدر إلهامي يا زهرة.

شعرتُ بصعقةٍ تضرب جسدي عندما قال لي هذا الكلام، فنظرتُ إليه في صدمةٍ ولأجده يبتسم لأنه وجد رد فعلٍ لأول مرةٍ مني لم يحدث من قبل.

- بنت كان عندها مشكلة في القلب ومع ذلك كانت أجمل بنت في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدنيا وكملت حياتها واتعالجت منه ونجحت في كل حاجة قررت تعملها.. وضحت بكل دا في ثانية عشان أخوها، ورغم تعبها دا كله فضلت محافظة على برائتها وسط كل حاجة.

شعرت بالإزعاج الشديد فوضعت يديَّ على أذنيَّ معلنة رفضي لسماع كلماته، ولكنه استمر في الحديث وتسللت كلماته لأذنيَّ لتطفئ اللهيب المشتعل داخل رأسي.

- فاكرة الرسمة اللي اتسابت لك ع المكتب زمان؟! كنت أنا صاحبها يا زهرة... وانا هنا النهار دا عشان أعرفك إني هافضل دايمًا موجود جنبك وهساعدك تبدأي من تاني حتى لو فضلت زي أخوكي.

بدأتُ أشعر بهدوءٍ يتخلل رأسي لم أشعر به منذ فترة، ونظرت إلى «رامي» بعينين دامعتين وحاولت استجماع كل القوى بداخلي، أردت أن أتحدث، ولكن الموضوع كان صعبًا لدرجةٍ غريبة، وبعد فترة من الحرب الداخلية فشلت في النطق، ولكن عينيَّ تحدثا بكل شيء، وكنت على يقينٍ أنه فهم كل ما أردت قوله حينها.

لقد جعلني «رامي» أتساءل عن حقيقة الحب الذي ربما لم أفهمه جيدًا حتى هذه اللحظة، ما الحكمة التي تكمن وراءه؟ هناك من قال أنه سُنة الحياة، فإننا نحيا فقط لنحب بصدق، وهناك من يراه كذبة لا أكثر نوقع أنفسنا بها كي نجد عذرًا للزواج لتستمر الحياة أيضًا! وهناك من هم مثلي لم يفهموا يومًا حقيقة فناء روحٍ لسعادة أخرى، أن تقابل شخصًا ما وبعد فترةٍ تتحول لنسخةٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منه، وإن كرهتها يومًا فقط لأنك أحببته، لم أستطع فهم البشر الذين اختاروا العذاب لأجل من لم يشعروا أو يدركوا وجودهم، أكاد أقسم أن هناك بشرًا عاشوا وأفنوا حياتهم في حب أشخاصٍ لم يقابلوهم وجهًا لوجه من قبل، بل أحبوهم كفكرة وأمل.. كسببٍ لإكمال الحياة والوصول لأحلامهم فقط ليكونوا جديرين بحمل أحبابهم داخل قلوبهم وإن عز اللقاء.

هذه هي الحياة وهذا هو الحب، وجهان لعملةٍ واحدة، ولكن القدر هو المهيمن دائمًا، وصاحب القرار في من هو رفيق دروبنا.

بعد فترةٍ من الوقت سندرك أن فُرسان أو أميرات الأحلام لن يكونوا واقعًا أبدًا، فلن تتزوج فتاة تشبه جوليا روبرت وتمتلك دفء صوت فيروز ورقة إيما واتسون وأنوثة سعاد حسني، ولن تجدي شابًا يشبه محمد صلاح في نجاحه ويمتلك كاريزما عمر الشريف وشجاعة توم كروز؛ بل كلاكما سيجد نقيض تخيلاته، لكنك ستجده جميلًا بما يكفي كي يمضي حياته معك.. ستجده مزيجًا مختلفًا يستطيع التعايش معك.. ستجده واقعًا لا خيالًا.

لم أكن أتخيل أن هناك من سيتقبلني بحالتي هذه، ولذلك قررت منح «رامي» الفرصة لأعطي عقلي حيزًا من التحكم فربما تبتسم عندها الحياة، وينبض قلبي من جديد.

***

عدتُ إلى المنزل وبدأت بالاستقرار داخل غرفتي مرة أخرى، ولكن هذه المرة لن أضطر للخروج منها لأي سبب، والغريب أن قوانين العالم كلها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اجتمعت في قانونٍ واحد هو «عدم المحاولة»، والذي ينص على التوقف عن المحاولات العديدة التي نقوم بها يوميًا لنكون سعداء؛ لأنه كلما زاد اهتمامنا بهدفٍ ما أو شيءٍ ما كلما أصبحنا أكثر عرضة لخسارته، وكلما قلصنا من هذا الاهتمام يركض إلينا العالم فاتحًا ذراعيه.. لذا لا تحاول واعترف بفشلك، وعدم قدرتك على حل أي شيء.

وهذا ما حدث معي نصًا، فبدأت أعود للرسم تدريجيًا وبشكلٍ أكثر شغفًا، وشيئًا فشيئًا صارت حياتي بشكلٍ طبيعي إلى حدٍ ما؛ فتارة أذهب لمقابلة «كنز» في إحدى المطاعم، وتارة أذهب لدروس اليوجا، وأخرى أقضي وقتي بالخدمةِ العامة في إحدى الجمعيات الخيرية، لكني كنت أشعر أن كل ركن من أركان حياتي يذكرني بما كنت أمتلكه وفقدته، والشيء الذي كان أكثر إزعاجًا هو عدم قدرتي على مبادلة «رامي» مشاعر الحب اللطيفة التي يكنها لي، وكان هذا الشيء يشعرني بالإحباط الشديد، ويجعلني أشعر بالغضب الشديد من نفسي، وبالشفقةِ على «رامي» الذي كرس لي حياته حتى عدت لحياتي بعض الشيء، ما زلت أتذكر آخر ما قاله: «إنتِ كدا بقيتي تمام أوي ومش محتاجة ليا... وانا بقيت مطمن عليكِ.. لو حسيتي فأي وقت إني وحشتك كلميني وانا ساعتها عمري ما هسيبك، لو لأ عرفيني برضه عشان مفضلش عايش على أمل».

لم أستطع التفكير في أي شخصٍ آخر سوى «يوسف» لأتحدث معه بخصوص هذا الموضوع، جلست في إحدى مقاهي وسط المدينة ولمحته يقترب بخطواتٍ ثابتة تشبه ضابط الشرطة، ووجدت عقلي يسترجع أسباب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بقائنا أصدقاء بعد كل هذا الوقت ورغم كل ما حدث، وفوجئت أنه أينما ذهبت بنا الدنيا كنا دائمًا معًا، وإن كان هو في نصف الكرة الأرضية، وأنا في النصف الآخر استطعنا أن نستمر، مرت أيام وليال لم نتحدث أبدًا ولم يهتم هو بفتح رسائلي النصية حتى! ومرت أخرى رفضت فيها الحديث معه لنسيانه عيد ميلادي! وأيام أكثر لأنه أهدر ثقتي، والحق أنني أيضًا أهدرت ثقته، لكني أؤمن أن صداقتنا عادت من المحن والأزمات التي واجهناها معًا.. من احترام كل منَّا للآخر رغم الخلافات، واعترافنا أن هذه الصداقة هي أكبر إنجاز لكلانا.

نعم، إنه صديقي الصدوق الذي أثبت لي صحة مقولة أبي: «الاهتمام مش حد كل شوية يبعت لك في عالم افتراضي، الاهتمام هو حد يشوفك، وتشوفيه، تتكلموا سوا بجد.. تعملوا ذكريات بجد.. الاهتمام هتشوفيه وقت الزعل لما تلاقيه زعلان بس مش عايز حد يتكلم عنك وحش، الاهتمام هو شخص عاش سنين بعيد عنك بس وقت اللقا ما يحصل روحه بتلتحم مع روحك قبل ما إيده تحضن قلبك».

قاطعني بسخافته المعتادة:

- إيه يا هانم! أنا جيت وقعدت وانتِ مسافرة مش هنا.

- معلش سرحت شوية.

- طب يلَّا يا حبيبة بابا، انجزي وقولي لي في إيه عشان مش فاضي.

- يا بني إنت لسه جاي أصلا.. وراك إيه؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ورايا أكل.. عايزين ناكل، فنخلص ونحل مشاكلك وبعدها ناكل.

- رامي...

- يخونك صح؟! عرف عليكي نعمات بتاعة أول الهرم دي.. كنت عارف.

- يا يوسف اخرس خليني أكمل.

قام بوضع يده على فمه وبدأ بالتحديق بي كالكلب اليتيم، تجاهلت ما يفعله وقلت:

- هو كويس جدًّا، شجعني ورجع لي ثقتي في نفسي، وعمل كل اللي يقدر عليه عشان يفرحني.

- فين المشكلة بقى؟

- المشكلة إني محبتهوش يا يوسف.. معرفتش ومقدرتش؟

- عشان لسه بتفكري في البيه التاني.

- طبعًا لأ.. مقدرش أقول إني نسيت اللي عمله فيا بس مش بحبه! أنا بس معرفتش أشوف رامي غير إنه صاحبي، حاسه إني أنانية جدًا، سيبته جنبي طول الوقت دا عشان كنت محتاجة حد يساعدني، ولما فقت بقيت مش قادرة حتى أكلمه.. وخايفة أوصل له إحساسي فأكسره.

- خلينا متفقين بس، إنتِ هتكسريه فعلًا لو ما قُلتيش، واعرفي إن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحب ما بيجيش كده.. الحب حاجة ربنا بيزرعها لك جوا قلبك لشخص معين من غير ما حتى يكون اتكلم معاكِ قبل كده، وبعدها إنتِ اللي بتاخدي قرار تكملي أو لأ، وفي حالة «رامي» مكنش ينفع من البداية.

- مكنش ينفع؟!

- أيوه، «رامي» جالك وقال لك إنه يحبك وانتِ في المستشفى وفاقدة الأمل في الحياة، طبيعي كنتِ هتتشعلقي فيه زي طوق نجاة، بس مش طبيعي إنك تحبيه في فترة الاضطراب دي.. اللي لازم يحصل دلوقتي إنك تكلميه، وتعرفيه حقيقة شعورك عشان ما يستناش ويشوف حياته يا زوزو.

- ما بلاش زوزو دي!

- والله ولا متضايقة ولا زفت، اتنيلي خلينا نطفح عشان بعدها أمشي وانتِ تخلصي موضوعك ده.

- ألفاظك مقرفة.

- آه ماهي شبهك.

***

في هذه الحياة... الفعل الذي تنتقده سيأتي عليك اليوم الذي تقوم فيه بعمله مهما طال بك الزمن، لقد التمست لـ«عمر» العذر.. فمواجهة شخص يحبك من كل قلبه بأنك ستتخلى عنه ليست سهلة أبدًا وربما مستحيلة أيضًا، وقد استغربت نفسي عندما التمست له العذر لكني لم أسامحه، ولن أسامحه كما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيفعل «رامي» بعدم نسيان الجرح الذي سأتركه في أعماق قلبه، سأكون أنا الملومة في هذه الندبة، ولكنه هو المسؤول عنه! فقد خطى كل خطوةٍ بمحض إرادته وهو يعلم جيدًا أنني من الممكن ألا أحبه مطلقًا.

لقد أعطاني «رامي» حبًا أعاد لي الأمل وسقاني بعد السقم، لكنه لم يتمكن من امتلاك روحي قط، لهذا اخترت أسلوب الهارب من الحرب، وأرسلت له رسالة نصية على الـ facebook، وكتبتها باللغة العربية كما أحب أن تكون مراسلاتنا دومًا:

«عزيزي رامي..

لا أعرف ماذا أقول حقًّا؟ إنك روميو الذي أتى بحثًا عن جولييت المدفونة بداخلي ولكنه لم يجدها! لقد ساعدتني على إيجاد «زهرة» بعد أن فارقتها، جعلتني أؤمن بالغد الأفضل رغم أن الحاضر لأمثالي ذابل لا محالة.. لم أستطع مقابلة المعروف بالنكران، والعطاء بالأنانية.. لهذا أكتب إليك اليوم..

إنك غالٍ.. إنك أكثر شخص مهم في حياتي ورفيق دربي، لكنك لم تكن توأم روحي أو حب حياتي!

لقد كان وعدي لك أن أحاول، وقد حاولت ولم أجد طريقًا لإيصالك لقلبي، ولعلك الآن تسأل نفسك «هل حقًّا هي الفتاة التي أحببتها؟»، ربما الإجابة هي نعم، ولكن الإجابة الأمثل هي لا يا رامي.. ليست هي..

لقد أحببت كذبة وصورة رسمتها لفتاةٍ كانت تجلس أمامك كل يومٍ في العمل، صورة رُسمت من القصص التي شاركتك فيها فقط.. ربما ليست

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حقيقية أبدًا..

لهذا أريد منك ألا تلقي اللوم عليك وأن تتبرأ من عدم نجاح تجربتنا.. انسى كل ما مضى ولتعلم أنني لم أكن مثالية يومًا، ولم أستحق كل هذا الحب الذي أغدقتني به..

في يومٍ ما يا صديقي ستقابل من تستحق قلبك الذهب.. وداعًا».

هكذا مرت الأيام وابتعدت عن «رامي» تمامًا، وقرر أبي العودة لعمله بعد هذه الإجازة الطويلة، ولكن هذه المرة يريد اصطحابنا جميعًا لخارج البلاد، فلم يتبق لنا شيء هنا، ولكني رفضت هذا الشيء، وبعد إصرار وإلحاح شديد سافر أبي وأمي وأخي للخارج، أما أنا فقررت أن أذهب للعيش بمفردي في الإسكندرية، وسأبدأ في الدراسات العليا بالجامعة هناك.. والمال الذي ادخرته من عملي السابق سأضعه بمشروعٍ صغير لم أحدده بعد، أردت أن أبتعد وأرحل عن كل شيءٍ حتى أحبتي، فربما يأتي اليوم الذي أجد فيه ذاتي الحقيقية.

ودعت «كنز» و«يوسف» اللذين لم يتقبلا الواقع الذي فرضته عليهما، ولكنهما سيتعايشان مع هذا الأمر، وتركتهما وأنا على وعد أن كل أسبوع سأيتي أحد منهما لزيارتي ولن أكون وحيدة، وبعد مغادرتي كان بداخلي أحاسيس مختلطة، أولهم الرضا التام عن ذهابي إلى مكانٍ لا أحد يعرفني فيه لأبدأ من جديد دون شوائب الماضي، والثاني هو الخوف من توابع هذا القرار، وتركت نفسي في نهاية المطاف للسؤال الأهم والأوحد: «ربما هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غاية الرحلة.. أن تتقبل ذاتك بحلوها ومرها.. ربما لم تكن الفكرة تتمحور حول الكمال وإنما حول إيجاد الجمال».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المركز

به اكتملت

يُحكى أنَّ فراقًا يحرقك، وغيره يعلمك، وآخر يحييك، وهكذا كان سفري للإسكندرية.

نعم، تستمرالحياة على الرغم من الخيبات والعثرات، تستمر وكأن كل ما مررت به في حياتك كان حلمًا جميلًا أو كابوسًا سيئًا لا أكثر!! يمضي عمرك أمام عينيك ولا يسعك سوى الابتسام إليه مودعًا.

مضت ثلاث سنوات على وجودى هنا بالإسكندرية ولم أرَ «كنز» و«يوسف» سوى خمس مرات! أما أسرتي فأتحدث معهم يوميًا بواسطة المكالمات المصورة، وأتوا لزيارتي مرة وحيدة عند مناقشتي لرسالة الماجستير الخاصة بي.. وهكذا سارت حياتي، وعدت للوحدة من جديد، ولكن هذه المرة رحبت بها كصديقةٍ قديمة اشتقتُ إليها.

Could roses bloom?

استيقظتُ على هذه الجملة، على ما يبدو قد تركت الموسيقى ولم أغلقها طوال الليل فظلت مستمرة حتى الصباح، وكأنها دقات ناقوس ليذكرني أن على الأزهار أن تتفتح، وعلى الربيع أن يدخل حياتي بأيةِ طريقة، ولكني لم ألتفت لها كثيرًا، وبدأتُ يومي بالتأمل كالعادة، ثم حضَّرت فطوري وجلست أمام النافذة المطلة على البحر لإنهاء لوحتي التي تركتها بالأمس،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقبل أن أبدأ استرقت النظر لأمواج البحر، فوجدت شخصًا على الشاطئ يتأمل البحر كما لو أنه حب حياته! كان له مظهر يحبس الأنفاس، فقد كان واثقًا من نفسه وله نظرات ثاقبة، كان يمتلك عينين عسليتين براقتين يمكنهما خطفك من اللحظةِ الأولى، صاحب بشرة مائلة للسمار، وجسد رياضي، أما شعره فكان مجعدًا ومبعثرًا بطريقةٍ عشوائية وأنيقة في نفس الوقت مما يجعلك تدمن النظر إليه، ولحيته السوداء تزين وجهه ليصبح في هيئة أمير من أمراء العصر العثماني، حاولت إبعاد نظري عنه لكني لم أستطع.. أردت أن أراقب تصرفاته وطريقة مشيه وتحركاته فربما لن أصادفه في حياتي مرة أخرى، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه؛ فقد رن هاتفي وكنت مضطرة للرد؛ فقد كان المتصل هو السمسار الذي وفر مسكني هذا، والذي كان يبحث لي عن مكانٍ قريب يصلح ليكون أتيليه.

- أيوة يا عم جمعة.

- أيوة يا أستاذة زهرة، أنا لاقيت لك طلبك في عمارة جنبك على طول، دور أرضي سوبر لوكس، وصاحبه عايز يبيعه بالسعر اللى يجيله، إنتِ بقى تاخديه وتظبطيه براحتك.

لقد كان العرض مغريًا للغاية، فقد كنت أبحث عن مكانٍ لعرض رسوماتي وبيعها، وأيضًا لتعليم الأطفال فن الرسم، ويبدو أن هذا المكان مناسب للغاية.

وبالفعل اشتريت المكان وبدأت في مباشرة تجهيزاته فورًا، وأصبحتُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تارة مع العمال، وأخرى في العمل لأنني أعمل ككاتبةٍ في إحدى شركات التسويق المغمورة، لم تكن وظيفة أحلامي لكنها تتكفل بمصاريفي اليومية وهذا يرضيني في الوقت الحالي، أما الوقت المتبقي من يومي أقضيه بالاهتمام بـ «سيمبا» قطي صاحب اللون الكريمي اللطيف والعينين الزرقاوين الذي أحضرته ليكون أنيسي ورفيق المرحلة الحالية.

قررت أن أهرب للشاطئ بصحبة «سيمبا» لنقضي قليلًا من الوقت معًا، وعند وصولي رأيته! نفس الشخص الذي راقبته من نافذتي.. هذا الوسيم الذي لا أعرف من هو؟ أو من أين أتى؟ جلست تحت الشمسية وأنا أحمل «سيمبا» بين ذراعي، وهو يحاول الفرار دون جدوى، وبدأت أراقبه من جديد متخذة نظارتي السوداء غطاءً لي.

كان يقرأ كتابًا في صمتٍ ويضع سماعات تفصله عن العالم المحيط به، تمنيت لثوانٍ معدودة أن أخترق عقله وأتعرف عليه أكثر وأكثر، إنه هذا الوسيم الذي سرقني دون أن يلحظ وجودي حتى!

***

افتُتح الأتيليه أخيرًا، وقد أطلقت عليه اسم «مسك» لأنه اسم عطر الجنة، وأردت من الناس أن تتذكر هذا المكان بهذا الشكل، وقد ساعدتني المساحة الواسعة لتصميم المكان ليبدو كالحديقةِ ولكن أكثر تنظيمًا، فعند دخولك للأتيليه ستتسلل رائحة المسك لأنفك، ثم سترى على الجانب الأيمن كل لوحاتي، ورسوماتي المعروضة للبيع، وفي المقدمة ستجد مكان انتظار أولياء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأمور الذي يمكنهم فيه احتساء القهوة، والتمتع بالقراءة أيضًا من مكتبة «مسك» المتنوعة التي ستجدها على اليسار، أما في الداخل ستجد مكانًا خاصًا بالأطفال فقط، طاولة مستطيلة يجلس عليها الأطفال ليتعلموا الرسم، وساحة مليئة بالألعاب التي تهدف لتعليمهم أشياء جديدة عن الحياة بشكلٍ عام، وفي نهاية الأتيليه قمت بتصميم مكتبي الزجاجي بحيث أستطيع متابعة كل ما يحدث في الخارج لكن دون إزعاج، وهكذا قمت بتحقيق حلمي الصغير وامتلكت مشروعي الخاص.

وفي ليلة الافتتاح كانت «كنز» و«يوسف» أول الحضور، ولكنهما كانا يتهامسان في ركنٍ من أركان المكان ولم أرد إزعاجهما، وفي الجهة الأخرى عائلتي المحببة التي حرصت على الحضور خصيصًا لمشاركتي هذا اليوم المهم، وبالطبع لم أسلم من جُمل أمي الاعتراضية لأنني قمت بقص شعري حتى وصل إلى الكتفين، وعدت مرة أخرى لارتداء نظارتي الفضية وبدأتْ تزعم أنني لن أتزوج أبدًا، وكأنني سأجد من يحبني إذا لم أقم بكل هذا؟!

نظرت إليهم مجددًا لأدرك أن هؤلاء الخمسة هم حياتي كلها، وبدون أن أشعر تسللت يدي إلى القلادة التي أرتديها وبها صورة جدتي، فهي أيضًا جزء من حياتي وإن رحلت.

أعتقد أنني وجدت الجزء المفقود من أحجية الحياة، وهو أنه مهما كان الإنسان سواء كان من أشهر المشاهير أو مجرد شخص بسيط سيظل كنزه الوحيد فيمن أحبوه بصدقٍ حين كان عاجزًا عن تقبل ذاته ومن كانوا معه في أسوأ أوقاته، قاطع تفكيري هذا الصوت الدافئ قائلًا:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- مش مصدق إن فيه فن حلو بالشكل ده.

التفتُ مسرعة لأجد أمير الشاطئ يتأمل لوحاتي، وكان يبدو عليه الأناقة والرقي الشديد، فقد كان يرتدي بذلةً ومعطفًا صوفيًّا باللون الأسود، تأملت فيه بشكلٍ دقيق فهذه هي المرة الأولى التي أكون فيها قريبة منه بهذا الشكل، لكنه فاجأني بالتفاته إليَّ فحركت نظري مسرعة، وأعلم تمامًا أنه قد لاحظ ما حدث، فوجه إليَّ الحديث قائلًا:

- هو حضرتك تعرفي اللي رسم اللوحات دي؟

حاولت أن أستجمع جملة مفيدة، ولكنني لم أستطع، وكأن لساني قد عُقد، ويبدو أنه شعر بترددي فما لبث حتى أكمل قائلًا:

- أصلي عايز أشتري اللوحة دي ومش عارف أتكلم مع مين؟

أخذتُ نفسًا عميقًا لأستجمع قوتي، ثم قلت في هدوءٍ وثقة شديدة:

- أنا صاحبة اللوحات.. بس البيع مش هيبدأ من أول يوم، بعد شهر من العرض هبدأ أبيع اللوحات.

نظر إليَّ بعينيه الثاقبتين وكأنه يلتقط صورةً لملامحي، وبدأ جسدي في الارتجاف من شدة التوتر، وكان بداخلي رغبة ملحة أن أسأله سؤالًا واحدًا وهو: «من أنت؟»

قام بخلع معطفه ووضعه على كتفيَّ، وأستطيع أن أقسم بأن عيني «يوسف» و«كنز» تخترقانا، حتى أنني أكاد أشعر بشعاع نظراتهما يحرق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ظهري!

- التكييف تقريبًا عايز يتظبط، مش عارف الموظفين عندك معليينه كدا ليه؟

ابتسمتُ ابتسامة خفيفة ثم قلت:

- ميرسي ع الجاكيت، مكنش لازم تتعب نفسك.

- تعب في إيه بس؟ وبعدين فنانة زيك لازم الواحد يقدرها بالشكل اللي تستحقه.. خليني أعرفك بنفسي، أنا فريد عشماوي.. جارك في نفس العمارة هنا، بنتي قعدت تزن عشان تجي الافتتاح هنا، وبصراحة زنها طلع ليه فايدة.

- بنتك؟ أكيد طبعًا شبطت في قسم الألعاب.

- آه، من أول ما دخلنا وهي هناك، وبصراحة أنا حسيت إن المكان أمان فسيبتها عشان مربيتها مش موجودة وانا مليش خلق عليها.

الفضول دفعني للسؤال عن سعيدة الحظ زوجته، فحاولت ألا يبدو السؤال واضحًا قائلة:

- مامتها مجتش معاها ليه طيب؟ أكيد كانت هتعرف تتصرف في الموقف دا وكمان كنت هاقول لها على الورش بتاعتنا.

بهتت ابتسامته قليلًا وقال:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- لأ، والدة «مليكة» توفت وهي بتولدها.. وتقريباً ملناش غير بعض، والتالت في حياتنا شغلي بقى.

يبدو أنه قرأ سؤالي من قبل أن يتحول لجملة مفيدة فقال:

- أنا كنت مدرب اسكواش، بس قررت أبطل وآجي أعيش في اسكندرية، وفتحت جيم قريب من منطقتنا هنا، وغير كدا بعمل جلسات تصوير بقى للممثلين وكدا، بس الموضوع دا واخده هواية مش أكتر.. وانتِ بقى؟

- أنا زهرة غالي، كنت بشتغل في مجلة موضة وبعمل لهم تصميمات الأغلفة بتاعتهم، بس حصلت لي حادثة تخص رجلي فقررت آجي إسكندرية وابدأ من جديد، خدت الماجستير هنا وفتحت الأتيليه دا عشان أي حد يحب الرسم يقدر يتعلمه وخصوصًا الأطفال.

Telegram:@mbooks90

- اعتبري أول حد معاكي هي مليكة.

- شرف ليا إني أعلمها.

- ها بقى ما قلتليش.. هتبيعي اللوحة بكام؟

ضحكت قائلة:

- دي بالذات مش للبيع.. فيه واحد حجزها من ثانيتين واسمه فريد.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مرت الأيام سريعًا واعتدت وجود «مليكة» و«فريد» في حياتي، شعوري بأنني أم وحبيبة في آنٍ واحد يشعرني بالامتنان للأقدار التي أحضرتني إلى هذا المكان.

وأخيرًا وبعد وقتٍ طويل أستطيع الاعتراف لنفسي بأنني عشقت من جديد، إنه «فريد عشماوي» الذي وقعت أسيرة له منذ اللحظةِ الأولى التي رأيته فيها من نافذتي، أحب نظراته القلقة التي تفضح محبته عندما أتعب، وأحب طريقة معاملته للآخرين بكل صبرٍ ولطفٍ وتفهم، أحب استماعه الدائم، ويأثرني مظهره في الشتاء، وهو يرتدي معطفه الأسود ويحاول تدفئة يده التي ترتعش بردًا، يغمرني كوب القهوة الذي يعده خصيصًا ويبعث به مع «مليكة» بالدفئ الذي أحتاجه للمضي قدمًا في يومي، وضحكته الطفولية التي تمتلك قدرة على جعل الحجر يلين، عيناه اللامعتان اللتان تعكسان الغد المشرق، أحب بساطته الشديدة التي تعني الكمال بالنسبة لى.. هو جميل، ذكي، خلوق، محترم وصادق.. هو وعلى الرغم من عيوبه آراه مذهلًا دائمًا.

كنت كالأطفال أنتظر موعد ورشة الرسم لأرى «مليكة» تركض نحوي بعفويتها وبراءتها وذكائها الملفت، وأراقب كل خطٍ ترسمه في فخرٍ وفرحة، ثم أنتظر نهاية الورشة لأجد «فريد» قادم نحوي ليوقف كل صخب العالم الخارجي، ويوقف التفكير والقلق، وأحيانًا يوقف الزمن، وكل ما يتبقى لي هو عينيه الساحرتين فقط!

- عاملة إيه يا زهرة؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أنا أهو زي ما انت شايف.. طالع عيني مع الولاد.

- طيب.. أنا كنت عايز أتكلم معاكي شوية لوحدنا.

- تعالى طيب نتكلم في المكتب.

جلست على الأريكة المجاورة لمكتبي ودعوته للجلوس أيضًا، وانتظرت مترقبة بدء حديثه.

- جالي شغل في بيروت لمدة شهر وبدأت أجهز أوراقي.. وفي غيابي «مليكة» هتروح عند أهل والدتها وتقعد معاهم، وحبيت آجي واعرفك عشان هيفوتها كام مرة من الورش بتاعتك.

أخمدتُ الرغبة الشديدة في البكاء داخلي، وحاولت أن أبدو سعيدة من أجله وقلت:

- دي حاجة حلوة جدًّا.. ربنا معاك يا فريد وتروح وترجع بالسلامة.

- زهرة.. لو قلتي لي استنى ومروحش.. هستنى، ولو قلتي لي أسافر هسافر.

أردت أن أخبره بألا يذهب ويتركني، بأنني أحتاجه أكثر من أي وقت، وأنني لم أتخيل يومًا واحدًا هو ليس فيه، ولكن بعض الأشياء عليها أن تبقى داخلنا للأبد، لن يسمعها أصحابها، ولن نتمكن حتى من مصارحة أنفسنا بها، بعض الكلمات يجب أن تُدفن في أعماق قلوبنا ولا تخرج يومًا.

- هقول لك متروحش ليه؟ ما انت هترجع بالسلامة كمان شهر، بس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الأقل هتكون اشتغلت برة مصر وطورت من نفسك أكتر.. أينعم مليكة هتوحشني جدًا، وكمان قعدتنا سوا كل يوم هافتقدها، بس لأ لازم تروح يا فريد.

- حيث كدا بقى أنا كنت جايب لك هدية كده.

وقام بإعطائي كتاب لأحمد خالد توفيق، ثم أكمل قائلًا:

- أول مرة شفتك فيها كانت ع البحر، وكنتِ شايلة سيمبا وقاعدة بتبصي ع البحر ومركزة معاه، وقتها أنا كنت بقرأ في الكتاب ده، وعشان كدا قررت أجيبهولك.. ومسافة ما تخلصيه هاكون رجعت.

كم هي غريبة الحياة، وكم هو غريب هذا القدر، في ذلك اليوم كنت أتمنى أن يراني وقد رآني بالفعل، ولكن دون أن يعلم كل منا بمعرفة الآخر له، حتى شاء القدر والتقينا، سافر «فريد» بالفعل تاركًا كل ذكرياته معي، أصبحتُ أستيقظ كل صباحٍ ولا أجده على الشاطئ، وأقضي يومي في الأتيليه دون كوب القهوة المميز الذي يُشبه دفئ كلماته، لم أعد أرى أي شيءٍ سوى موعد عودة الغائب، وكأنني سقطتُ بثقبٍ أسود ولن أخرج منه إلا عند عودته.

جلستُ أنهي لوحتي الأخيرة التي سأعرضها للبيع من صباح الغد، وانهمكتُ في العملِ بها، ولم يُعكر صفوي سوى «سيمبا» الذي لا يترك أي شيءٍ في مكانه الصحيح، وانتهى به الأمر في محاولةٍ لاصطياد قدمي الحافية.

- بس يا سيمبا متعصبنيش يا أخي!!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكعادة قطي الوديع يشعر بالاستياء حين أصرخ في وجهه، فقام بضرب قدمي وتركني رافعًا ذيله في فخرٍ وتباهي، وذهب للجلوس في أحد أركان الأتيليه.

وفجأة سمعتُ صوت باب الأتيليه يُفتح، فارتديت حذائي مسرعة وذهبت لأرى من الذي أتى بعد رحيل جميع الموظفين؛ لأجد أمامي أكثر الأشخاص قربًا لقلبي.

- إيه يا بنتي فزعتينا.. اتصلنا بيكِ أكتر من ١٠٠ مرة ومفيش رد!

- والله افتكرنا كي اتخطفتي، جاينلك جري من القاهرة لهنا.

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أحتضن «كنز» وممسكة بيد «يوسف» من شدة سعادتي بوجودهما، قمتُ بدعوتهما للداخل وأغلقت باب الأتيليه حتى لا يأتي أي زائرٍ غير مرغوبٍ فيه، وقمتُ بصنع القهوة لثلاثتنا، وذهبت للجلوس معهما، في هذه الأثناء كانت «كنز» قد تخلت عن قلقها وبدأت في اللعب مع «سيمبا» كأن شيئًا لم يكن، وكأنها لم ترَ صديقتها منذ فترة!

- حقكوا عليا، بس أنا فعلًا مكنتش ببص ع الموبايل حتى.

- وما بتبصيش ليه؟ ورا كي الديوان؟؟

- يمكن لو كنت شفت ورديت مكنتوش جيتوا.

نظر «يوسف» لـ «كنز» بنفاد صبرٍ وقال:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- يا كنز أنا مش جايبك الملاهي، أنا جايبك نشوف دي مالها!!

أتت «كنز» في خيبة أملٍ، وجلست بجانب «يوسف» وقالت:

- مالك بقى؟! بتتجاهلينا وأصلًا شكلك شبه المتطلقين.. فيه إيه؟

صرختُ كطالب الابتدائي وهو يرد التحية على أستاذه:

- أنا.. بحب.. فريد!

ثم نظرت لهما لأجد فم «يوسف» نصف مفتوحٍ من صدمته في الطريقة التي تحدثت بها، أما «كنز» فكانت تنظر لي نظرةً بلهاء كـ «سكار» عندما قال: «أنا محاط بشلة متخلفة»

- معلش يعني بغض النظر عن الغباوة دي بس إيه الجديد يا زهرة؟ ما انا عارف من يوم الافتتاح وأي أعمى كان هيعرف!

- استنى بس يا يوسف.. انتِ قعدتي شهر تراقبيه في صمت، وست شهور تعرفيه واكتشفتي الاكتشاف العظيم دا دلوقتي؟؟ إنتِ على ما تقولي له هنكون بنتوفى!

- مهو أنا خايفة يا جماعة يكون صدمة جديدة في حياتي.

- يا كوكيز صدمة إيه بس؟؟ ممكن هو يبقى أكبر مكسب ليكِ.

- لا يا كنز أنا معنديش مكاسب.. هو هينضم للوحة شرف الصدمات التي خرجت منها حية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلتها بمنتهى الجدية التي جعلتهما ينفجران في الضحك، وانفجرتُ معهما، ربت «يوسف» على كتفي قائلًا:

- أحسن حاجة ممكن تعمليها إنك تمشي بنصيحة فيلم حب البنات.. لما الست ليلى علوي قالت سيبي نفسك وحبيه.. الحب بيقوي مبيضعفش.

نظرت إليهما نظرةً شريرة جعلتهما يفزعان بعض الشيء:

- لا إله إلا الله.. كبَّري في ودنها يا كنز.. دي اتلبست.

تجاهلته قائلة:

- وانتوا بقى ناويين تقولوا لي إمتى إنكم بتحبوا بعض؟

- كنا عايزين نطمن عليكي الأول يا كوكيز.

- يا كنز إنتِ عبيطة! أنا شفت منكوا سنين سودة، أظن من حقي أفرح بيكوا بقى.

ابتسما ابتسامة نجلٍ ممزوجة بفرحة التمني، وفي حقيقة الأمر لم يكن هناك أحد أكثرسعادة مني بارتباطهما، سيكون الأمر ممتعًا للغاية بسماعي لتفاصيل علاقتهما من «كنز»، وقضاء لحظات الإنكار للخلافات مع «يوسف»، أعلم جيدًا أنني سأصاب بصداعٍ نصفي منهما، ولكنه سيكون أفضل أنواع الصداع على الإطلاق.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليوم كان يوم عودة «فريد»، وكنتُ في غاية التعب؛ فقد قضيتُ الليلة أعمل على لوحة اعترافي بحب «فريد»، حيث قمتُ برسم وجهي وبداخل عينيَّ انعكاس ملامح «فريد» والبحر وراءه، لا أعلم متى سيراها ولكنها يومًا ما ستكون هديتي له.

اتخذتُ قرارًا أنني سأذهب إلى المنزل لأنام ولن أقوم بفتح الأتيليه اليوم، وأثناء خروجي رأيت «فريد» أمامي يتحدث مع «مليكة» بكل حبٍ وحنان، وسرعان ما لمحني وأتى إليَّ مسرعًا وقد سبقته «مليكة» وأتت لمعانقتي.

- وحشتيني يا زهرة.

- وانتِ كمان وحشتيني يا لوكا.

وتركتُها لألقي التحية على «فريد» الذي كان يُحدق بي في صمت.

- حمد الله على السلامة يا فريد.

- الله يسلمك يا زهرة.. إنتِ كنتِ هنا طول الليل ولا إيه؟

- آه، كنت بخلص لوحة كده.

- يا ترى كنتِ بتفكري فيا؟

ضحكتُ في خجلٍ وشعرتُ أنه ينظر إليَّ مترجيًا الحصول على إجابة، فقلت في ثقةٍ:

- يعني لما بكون فاضية بتيجي في بالي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضحك في خيبة أملٍ وقال:

- عارفة إمتى هفرح لما تفكري فيا؟ لما أبقى باجي في بالك في كل وقت مش وانتِ فاضية بس.

- إشمعنا؟؟

- لإنك ساعتها تبقي بتحبي بجد.

كم أردت أن أخبره أنه لم يمر وقتٌ علي ولم أفكر فيه، وكأنه مرض أصبت به ولا علاج له.

فاجأني بإمساك يدي للمرةِ الأولى وقام بتقبيلها، ثم قال:

- روحي وريحي وهابقى أجيلك بكرة الأتيليه عشان أتفرج على الرسمة اللي سهرتك طول الليل دي.

***

من شدة خوفي قررتُ عدم الذهاب للأتيليه لمدة يومين، وتوقعتُ حين ذهابي أنني سأجد «فريد» في انتظاري ليقوم بلكمي على هذا الاختفاء لكنه لم يظهر إلا في المساء، وفي نفس الوقت الذي تلقيت فيه اتصالًا من «كنز» تخبرني أن «يوسف» قد تقدم لخطبتها أخيرًا.

- اتعمدتي تهربي مني صح؟ وانا سيبتك بمزاجي على فكرة.

- أنا عارفة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قام بإعطائي كوب القهوة الخاص به وقال:

- أكيد وحشتك قهوتي.

قمت بارتشاف بعض منها وقلت في استمتاع:

- جدًّا الصراحة.

- أنا ممكن أقعد طيب عشان عايزك في موضوع.

- أكيد، وانا كان ثواني هجيب حاجة بس.

ذهبت مسرعة لإحضار رسمتي التي تحمل اعترافي؛ فقد قررت إخباره بحقيقة مشاعري مهما كلفني الأمر، وعدت إليه ووضعتها أمامه، لكنها كانت مغطاة بقماشةٍ فلم يظهر منها شيء وجلست أمامه وقلت:

- ها بقى عايزني في إيه؟

- بتفكري فيَّا؟

- قتلت أوقات فراغي الحقيقة.

عبث وجهه قليلًا بطريقةٍ بريئة أحبها كثيرًا، ثم قال:

- يعني إيه بقى؟

- يعني بقيت بفكر فيك في كل وقت حتى وانا قاعدة معاك دلوقتي.

نظرتُ له بحبٍ وأنا أعلم جيدًا أن رسالتي قد وصلته، فنظر بعيدًا وقال:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أنا حاسس إني مشلول وعاجز.. طول عمري راجل قوي ومفيش حد هز فيا أي حاجة.. حتى لما مراتي ماتت كنت قادر أحافظ على توازني وبنتي كانت كل حياتي.. لحد اليوم اللي شفتك فيه أول مرة، حسيت بحاجة بتخبطني وبتوقعني على جدور رقبتي زي الموجة لما بتخبط فيكِ وتغرقك في بحرها.. أنا غرقت فيكِ، ولما اتكلمنا في الافتتاح غرقت أكتر وأكتر وبطلت أقاومك.. سيبت نفسي ليكِ وانا في منتهى السعادة، سافرت لبنان وشفت بنات كتير بس مكنتش شايف غيرك.. وقتها بس عرفت إني فعلًا بحبك يا زهرة.. وازاي محبكيش وانا ما شفتش في قوتك وثقتك في نفسك.. ضحكتك بس كفيلة تسعد يومي كله، دا حتى بنتي مش شايفة غيرك أم ليها برضه، إنتِ من غير ما تحسي إدتيلي حياة وحسستيني إن أخيرًا ليا بيت.. مقدرش غير إني أحبك يا زهرة.

شعرت بقلبي ينتفض بين ضلوعي، وشعرت بالأدرنالين يرتفع في جسدي ويولد رغبة شديدة في الرقص فرحًا، لكني تماسكت وذهبت إلى لوحتي المغطاة وأنا أعلم تمامًا أن هذا هو الوقت المناسب لاعترافي أيضًا، رفعت الغطاء والتفتُ لأراقب رد فعله ودموعي تنهمر فرحًا، أما «فريد» فقد هبَّ واقفًا عندما أدرك المغزى من لوحتي ولمعة عينيه تزداد شيئًا فشيئًا.

قلت بصوتٍ مرتجف:

- أول علاقتنا كانت حبك لرسمي، وعشان كدا قررت إن اعترافي يكون بالرسم برضه.. أنا مش شايفة غيرك يا فريد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اقترب مني وقام بمسح دموعي بيدهِ الدافئة، ثم فاجأني قائلًا:

- أنا ماليش في المقدمات الكتير.. تتجوزيني يا زهرة؟

لم أحتج وقتًا للتفكير فهذا هو كل ما أردته، أومأت بالموافقةِ فقام «فريد» بمعانقتي عناقًا دافئًا مثله تمامًا جعلني أدرك حينها أن ربيعي قد بدأ أخيرًا!

***

- يا فريد.. يلَّا هنتأخر، إحنا لسة قدامنا ساعتين على ما نوصل القاهرة.

- يا كوكيز حاضر.. وبعدين بصراحة مش فاهم هنروح بدري كدا ليه؟

- مش أنا صاحبة العروسة؟ يعني لازم أكون معاها من بدري يا خفيف.

- طيب ماشي يا ستي، ممكن بقى تروحي تشيلي «مالك» إنتِ.. عشان مش هتبقى سواقة وشيل عيل يرفص فيا.

- اتكلم عن ابنك عدل، الأطفال بتوصل لهم الطاقة السلبية.

- ماشي يا life coach.

- دا غصب عنك على فكرة.

أتت «مليكة» وهي تحمل «سيمبا» بين ذراعيها وتنظر إليَّ آملة أن أوافق على قدومه معنا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- يا لوكا.. سيمبا مش هينفع يحضر الفرح معانا.. إحنا حطناله أكله وهنسيبه يوم واحد بس ونرجع.. ماشي؟

- حاضر يا مامي.

- شطورة يا لوكا، يلّا روحي هاتي «مالك» من ع السرير، وهتلاقي شنطة جنب التسريحة.

ركضت مسرعة لتنفيذ مطلبي، والتفتُ لأجد «فريد» ينظر إليَّ رافعًا حاجبه الأيمن فقلت:

- ما انا مش هدخل عشان أرجع ألاقيك بتلعب فيفا، وطبعًا هتقول لي أخلص الماتش وننزل، وهتبقى بتلاعب واحد أونلاين، وهتخسر وتطلب ماتش تاني عشان تنتقم، ولو اعترضت هتقول لي شكلي مش مهم عندك فبعدها...

وضع يده على فمي وقال:

- خلاص عرفت إنك فهماني يا حبيبتي خلاص، بس على فكرة أصلًا كنت هلعب ماتش واحد عشان مأخركيش، وحتى لو خسرت هضحي بشكلي عشان انتِ أهم عندي.

- يا سلام يا ناس.. قادر يحول أي حاجة في الدنيا لـ flirting material.

- دا فن اسمه كيف تضحك على زوجتك في خمس ثوانٍ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم أمسك بيدي وانطلقنا لزفاف «كنز» و«يوسف» بصحبة طفلاي «مليكة» و«مالك»».

بعد مرور كل هذه السنين أردت أن أختتم كتاباتي للأبد، وأستمتع بما تبقى من حياتي على أرض الواقع مع أحبتي، وما أعرفه جيدًا هو أنني لن أجد دنياي سهلة مهما حاولت، سأعيش دائمًا في المحن والاختبارات، وفي حلها سأجد السعادة التي أبحث عنها، لم تكن السعادة في راحة البال لأنه لا وجود لشيءٍ كهذا، وإنما في اختيار ما نكافح ونعاني من أجله، في اختيار حروبنا الخاصة.

لوقتٍ طويل لم أتقبل الضعف وكأن الإنسان خُلق ليكون قويًا فقط! لهذا عليَّ تقبل ضعفي، وقلة حيلتي في بعض الأحيان؛ لأجد منها نقاط قوتي من جديد.

Telegram:@mbooks90

تلك هي الحياة، دوائر متداخلة لا بُدَّ من المرور بها حتى أدرك أن مثالية الحياة في عبثها اليومي، في تلك الأحداث المفاجئة التي تقلب خططي رأسًا على عقب، ربما النضج هو أن أدع أمواج الحياة تجرف بي في شاطئٍ جديد مع صباح كل يومٍ لأختلس كل ما أستطيع اختلاسه منه، ثم أمطتي الأمواج مرة أخرى استعدادًا لمغامرةٍ غير متوقعة!

ربما أحتاج اليقين الذي يجعل التأقلم على فناء الأحوال وتغير الدنيا هي القاعدة ثم بعد ذلك نحيا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تم الرفع بواسطة:

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner